« التَّرْكِيبُ وَالدَّلَالَةُ »
وَتَجَاذُبَاتُ التَّمَرْكُزِ فِي النِّظَامِ اللُّغَوِيِّ
مُقَارَبَةٌ لِسَانِيَّةٌ

د / هانئ إبراهيم الدسوقي عبد الوهاب الوكيل

مدرس النحو والصرف

قسم اللغة العربية – كلية التربية - جامعة عين شمس

والأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية

كلية الآداب ، جامعة الجوف ، المملكة العربية السعودية

«التَّركِيبُ وَالدَّلَالَةُ» وَتَجَاذُبَاتُ التَّمَرْكُز فِي النِّظَامِ اللُّغَوِيِّ مُقَارَبَةٌ لِسَانِيَّةٌ

هاني إبراهيم الدسوقي عبد الوهاب الوكيل
قسم اللغة العربية ، كلية التربية ، جامعة عين شمس ، مصر .
البريد الالكتروني : HIALWAKEEL@JU.EDU.SA

مُلَخَّصُ البَحْثِ :
تَرُومُ هَذِهِ الدِّراسَةُ الوُصُولَ إِلَى فَهْمٍ أَعْمَقَ حَوْلَ آليَّاتِ التَّعَالُقِ بَيْنَ مُسْتَوَيَاتِ اللُّغَةِ ، وَطَرَائِقِ اِنْتِظَامِهَا وَاِشْتِغَالِهَا مَنْهَجِيًّا وَإِجْرَائِيًّا فِي إِطَارَ النِّظَام اللُّغَوِيّ ، مِنْ خِلَالِ رَصْدِ التَّمَرْكُزَاتِ الَّتِي تَوَضَّعَ مِنْ خَلَالِهَا مُسْتَوَى التَّرْكِيبِ ، وَمُسْتَوَى الدَّلَالَةِ فِي النِّظَامِ اللُّغَوِيّ ، والتَّجَاذُبَاتِ وَالتَّحَوُّلَاتِ الَّتِي طَرَأَتْ عَلَى هَذِهِ التَّمَركُزَاتِ في الْمُعَالَجَاتِ الَّتِي وَاكَبَتْ التَّطَوُّرَاتِ فِي الدَّرْسِ اللِّسَانِيّ بِاخْتِلَافِ مَدَارِسِهِ بَدْءًا مِنَ الْبِنْيَوِيَّةِ الوَصْفِيَّةِ التَّجْرِيبِيَّةِ ، وَمُرُورًا بِالتَّولِيدِيَّةِ التَّحْوِيلِيَّةِ التَّفْسِيرِيَّةِ الاسْتِنْبَاطِيَّة ، وَانْتِهَاءً باللِّسَانِيَّاتِ الإِدْرَاكِيَّة فِي بُعدها الذِّهْنِيّ الْمَوْسُوعِيّ ، كَمَا تَطَرَّقَتِ الدِّرَاسَةُ إِلَى مُعَالَجَةِ الطَبِيعَةُ التِّكوينِيَّةُ لِبِنْيَةِ هَذَيْنِ الْمُسْتَوَيَيْنِ ، وَطَبِيعَةِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَهُمَا مِنْ مَنْظُورِ هَذِهِ الْمَدَارِسِ وَمَنْهَجِيَّاتِهَا الْمُتَبَايِنَةِ .

الْكَلِمَاتُ الْمِفْتَاحِيَّةُ : التَّركِيبُ – الدَّلَالَةُ – اللِّسانِيَّاتُ البِنْيَوِيَّةُ – اللِّسَانِيَّاتُ التَّولِيدِيَّةُ – اللِّسَانِيَّاتُ الإِدْرَاكِيَّةُ .

“Structure and significance” and the tensions of the concentration in the linguistic system are a linguistic approach.

Hani Ibrahim El-Desouky Abdel-Wahab Al-Wakeel
Department of Arabic Language, Faculty of Education, Ain Shams University, Egypt.
E-mail : HIALWAKEEL@JU.EDU.SA

Abstract:
This study aims to reach a deeper understanding of the mechanisms of correlation between language levels and methods of its regularity and functioning systematically and practically in the framework of the linguistic system. That is by monitoring concentrations which have been explained through the levels of structure and reference in the linguistic system, and the interactions and transformations that have taken place on these concentrations in the process coincided to the developments of the syntactic lesson in different schools: from Structural, Descriptive, and Experimental, through Generative, Transformational, Explanatory and Deductive, ending with Cognitive Linguistics in its mental and encyclopedic framework. Also, this study has dealt with the treatment of the formative nature of the structure of these two levels, and the nature of their relationship from the perspective of these schools and their different methods.

KeyWords:Syntaxe - Semantics - Structural Linguistics - Generative Linguistics – Cognitive Linguistics.

مُقَدِّمَة

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي يَسَّرَ وَوَفَّقَ وَأَعَانَ ، وَشَرَحَ صَدْرَ كُلِّ مُرْتَجٍ بِإِخْلَاصٍ حَتَّى فَتَحَ عَلَيْهِ فأَفْصَحَ وأَبَانَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ خَلَقَ الإِنْسَانَ وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَخَيْرُ مَنْ عَامَلَ الوَرَى بِالتُّقَى والإِحْسَانِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَوْرِدَ البِرِّ والصَّلَاحِ وَالإِيمَانِ .

تَقْتَضِي الْمُعَالَجَةُ الْعِلْمِيَّةُ فِي إِطَارِ أَيَّةِ دِرَاسَةٍ مَنْهَجِيَّةٍ الوُلُوجَ إِلَى الْمَعَانِي اللُّغَوِيَّةِ والاصْطِلَاحِيَّةِ لِمُفْرَدَاتِهَا الرَّئِيسَةِ ؛ حَتَى تَسْتَطِيعَ أَنْ تَتَلَمَّسَ مَسَالِكَهَا بِجَلَاءٍ وَوُضُوحٍ ، وَهْوَ مَا نُحَاوِلُ إِبْرَازَهُ فِي هَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ مِنْ خِلَالِ تَنَاوُلِنَا لِمُصْطَلَحَي (**التَّرْكِيبِ**) ، و (**الدَّلَالَة**) وَرَصْدِ تَقَاطُعَاتِهِمَا مَعَ بَعْضِ الْمُصْطَلَحَاتِ الأُخْرَى ، إِلَى جَانِبِ الْعَنَاصِرِ الأُخْرَى الَّتِي تَتَضَمَّنَهَا هَذِهِ الْمُقَدِّمَةُ وَفْقَ مَا تَسْتَدَعِيهِ مُتَطَلَبَاتُ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ فِي إِطَارِ أُسُسِ الْبَحْثِ العِلْمِيّ وَقَوَاعِدِهِ.

أَمَّا عَنْ مُصْطَلَحِ (**التَّرْكِيبِ**) فَقَدْ جَاءَ فِي **العَيْنِ** لِلخَلِيلِ بنِ أَحْمَدَ: "الْمُرَكَّبُ: الْمُثَبَّتُ فِي الشَّيءِ ، كَتَرْكِيبِ الفُصُوصِ"(١)، وفي **تاج العروس:** "وَرَكَّبَهُ تَرْكِيبًا: وَضَعَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَتَرَكَّبَ ، وَتَرَاكَبَ ، مِنْهُ : رَكَّبَ الفَصَّ فِي الخَاتَمِ، وَالسِّنَانَ فِي القَنَاةِ"(٢)، وَذَكَرَ صَاحِبُ **اللِّسَانِ:** "وَرَكَّبَ الشيْءَ وَضَعَ

(١) العين – الخليل بن أحمد الفراهيدي : ٣٦٣/٥ [تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي– من منشورات وزارة الثقافة والإعلام بالعراق – دار الرشيد للنشر ١٩٨٠– ١٩٨٥م]

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس – السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي : ٥٢٦/٢ (مادة : ر ك ب) [تحقيق علي هلالي – الكويت– وزارة الإعلام – سلسلة التراث العربي – الطبعة الثانية – ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م].

بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ ، وَقَدْ تَرَكَّبَ وَتَرَاكَبَ ... وَشَيْءٌ حَسَنُ التَّرْكِيبِ . وَتَقُولُ فِي تَرْكِيبِ الفَصِّ فِي الخَاتَمِ ، والنَّصْلِ فِي السَّهْمِ : رَكَّبْتُهُ فَتَرَكَّبَ"(١).

وَهْيَ مَعَانٍ تَلْتَقِي اصْطِلَاحًا فِي إِطَارِ الضَّمِّ والْجَمْعِ ، وَهْوَ مَا يُسْتَدَلُّ منْهُ عَلَى أَنَّ التَّرْكِيبَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاجْتِمَاعِ كَلِمَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ(٢)فِي سِيَاقِ عَلَاقَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ(٣)تُكْسِبُ هَذِهِ الْمُرَكَّبَاتِ دَلَالَاتٍ جَدِيدَةً ؛ فَالأَلْفَاظُ تَكْتَسِبُ "بِالتَّرْكِيبِ حُكْمًا جَدِيدًا لَم يَكُنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الجُزأَيْنِ اللَّذَيْنِ رُكِّبَ مِنْهُمَا"(٤)، وَقَدْ استَعْمَلَ **(أَبُو عَلِيٍّ الفَارِسِيّ ت ٣٧٧ هـ)** هذا الْمَدْلُولَ مُنضَوِيًا تَحْتَ مَفْهُومِ الائْتِلَافِ" فَالاسْمُ يَأْتَلِفُ مَعَ الاسْمِ ؛ فَيُكَوِّنُ كَلَامًا مُفِيدًا كَقَوْلِنَا: عَمْرٌو أَخُوكَ، وَبِشْرٌ صَاحِبُكَ ، وَيَأْتَلِفُ الفِعْلُ مَعَ الاسْمِ فَيُكَوِّنُ كَذَلِكَ كَقَوْلِنَا: كَتَبَ عَبْدُ اللهِ، وَسُرَّ بَكْرٌ "(٥)، وَأَوْرَدَ تِلْمِيذُهُ **(أَبَو الفَتْحِ عُثْمَانُ بْنُ جِنِّي ت ٣٩٢ هـ)** بَعْضَ الْمَقُولَاتِ التَّرْكِيبِيَّةِ حِينَ ذَكَرَ " أَنَّ الكَلَامَ إِنَّما هُوَ فِي لُغَةِ العَرَبِ عِبَارَةٌ عَنِ الْأَلْفَاظِ القَائِمَةِ بِرُءُوسِهَا، الْمُسْتَغْنِيَةِ عَنْ غَيْرِهَا ، وَهْيَ الَّتِي يُسَمِّيهَا أَهْلُ هَذِهِ

---

(١) لسان العرب – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي الأنصاري المصري : ٤٣٢/١ (مادة : ر ك ب) [بيروت – دار صادر– الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ]

(٢) انظر : شرح العلَّامة الشيخ حسن الكفراوي على متن الآجرومية ص ٨[يطلب من مكاتب سليمان مرعي – سنقافورا – فيناغ – كوت بهارو – د.ط – د.ت]

(٣) عقد سيبويه في كتابه بابًا أسماه : (هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة) يعالج فيه سيبويه التراكيب استنادًا إلى وظائفها الدلاليَّة ، انظر : الكتاب : ٢٥/١ [تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون – القاهرة – مكتبة الخانجي – الطبعة الثالثة – ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م]

(٤) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو – مهدي المخزومي : ٢٣٣ [القاهرة – مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – الطبعة الثانية – ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م]

(٥) الإيضاح العضدي – أبو علي الفارسي : ٩ [حققه وقدَّم له حسن شاذلي فرهود – كلية الأداب جامعة الرياض – الطبعة الأولى – ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م]

الصِّنَاعَةِ الجُمَلَ عَلَى اِخْتِلَافِ تَرْكِيبِهَا"[١]، وَيَقُولُ فِي سِيَاقِ حَدِيثِهِ عَنِ الإِطَالَةِ وَالإِيجَازِ " إِنَّمَا هُمَا فِي كُلِّ كَلَامٍ مُفِيدٍ مُسْتَقِلٍّ بِنَفْسِهِ ، وَلَوْ بَلَغَ بِهَا الإِيجَازُ غَايَتَهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ بُدٌّ مِنْ أَنْ يُعْطِيَكَ تَمَامَهُ وَفَائِدَتَهُ ، مَعَ أَنَّه لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ تَرْكِيبِ الْجُمْلَةِ "[٢]، وَالتَّرْكِيبُ فِي صُورَتِهِ الإِسْنَادِيَّةِ التَّامَّةِ الْمُفِيدَةِ أَوِ الْكَلَامُ أَوِ الْجُمْلَةُ فِي اِصْطِلَاحِ النَّحْوِيِّينَ تَتَفَرَّعُ عَنْهُ أَشْكَالٌ مُتَنَوِّعَةٌ مِنَ الْمُرَكَّبَاتِ غَيْرِ التَّامَّةِ كَالتَّرْكِيبِ الإِضَافِيِّ ، وَالتَّرْكِيبِ الوَصْفِيِّ ، وَالتَّرْكِيبِ الْمَزْجِيِّ ، وَالْمُرَكَّبَاتِ الْعَدَدِيَّةِ وَغَيْرِ الْعَدَدِيَّةِ ، وَمَا تَرَكَّبَ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالظُّرُوفِ وَأَسْمَاءِ الأَفْعَالِ .

وَيَكَادُ التَّرْكِيبُ فِي وُجُودِ عَلَاقَةٍ إِسْنَادِيَّةٍ بَيْنَ اسْمَيْنِ ، أَوْ بَيْنَ فِعْلٍ وَاسْمٍ يَتَطَابَقُ مَعَ مَفْهُومِ الْجُمْلَةِ الَّتِي جَعَلَهَا بَعْضُ النُّحَاةِ أَيْضًا مُرَادِفَةً لِلْكَلَامِ مَعَ شَرْطِ الإِفَادَةِ ، وَكَمَا يَقُولُ (**ابنُ جِنِّي**) : " الكَلَامُ إِنَّمَا هُوَ لِلْجُمَلِ التَّوَامِّ دُونَ الآحَادِ"[٣]، كَمَا أَنَّ التَّقَاطُعَ وَالتَّمَاسَّ بَيْنَ مُصْطَلَحَيِ التَّرْكِيبِ وَالنَّحْوِ حَادِثٌ بِقُوَّةٍ فِي الدِّرَاسَاتِ اللُّغَوِيَّةِ الْحَدِيثَةِ وَالْمُعَاصِرَةِ ، فَعَلَى حِينِ جَعَلَ بَعْضُهُمُ التَّرْكِيبَ مِحْوَرًا مِنَ النَّحْوِ يَخْتَصُّ بِالْقَوَاعِدِ التَّأْلِيفِيَّةِ الَّتِي تُنَظِّمُ الوَحْدَاتِ الدَّالَّةَ فِي إِطَارِ الْجُمْلَةِ ، وَيَرَاهُ (**ماريو باي** ***Mario Pei*** 1901–1978) أَكْثَرَ شُمُولًا مِنَ النَّحْوِ إِذْ يَرَى أَنَّ الصَّرْفَ وَالنَّحْوَ يُكَوِّنَانِ مَعًا مَا يُعْرَفُ بِعِلْمِ القَوَاعِدِ أَوِ التَّرْكِيبِ أَوْ قَوَانِينِ الْمُرُورِ الَّتِي تَحْكُمُ تَيَّارَ الْمَعَانِي[٤]. وَالْحَقُّ أَنَّ مُصْطَلَحَ النَّحْوِ قَدْ ظَهَرَ فِي الْعَرَبِيَّةِ بِقَصْدِ تَحْلِيلِ بِنْيَةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَهُوَ الأَسَاسُ الَّذِي اِسْتَنَدَ إِلَيْهِ **سِيبَوَيْهِ** فِي تَصْنِيفِهِ لِلْكِتَابِ ، وَبِمُقْتَضَى هَذَا الْمَفْهُومِ ضَمَّنَهُ الْعَدِيدَ

(١) الخصائص – أبو الفتح عثمان بن جني : ٣٢/١ [تحقيق محمد علي النجار – القاهرة – الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الرابعة – د.ت] .

(٢) الخصائص – أبو الفتح عثمان بن جني : ٣٠/١ .

(٣) الخصائص – أبو الفتح عثمان بن جني : ٢٧/١

(٤) انظر : أسس علم اللغة – ماريو باي : ٥٣ [ترجمة أحمد مختار عمر – القاهرة – عالم الكتب – الطبعة الثامنة – ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م]

مِنَ الدِّرَاسَاتِ وَالْمَوْضُوعَاتِ الَّتِي يُمْكِنُ تَصْنِيفُهَا ضِمْنَ مَوْضُوعَاتِ عِلْمِ اللُّغَةِ الْحَدِيثِ ، بَيْدَ أَنَّ تَحَوُّلًا طَرَأَ عَلَى هَذَا الْمَفْهُومِ بَعْدَ سِيبَوَيهِ زَجَّ بِهِ إِلَى زَاوِيَةٍ ضَيِّقَةٍ ، وَانْتَهَى بِهِ إِلَى الْعِنَايَةِ بِقَضَايَا الإِعْرَابِ وَالْبِنَاءِ ، وَالعَامِلِ وَالقِيَاسِ ، وَأَصْبَحَ بَعْدَ اِنْفِصَالِهِ عَنِ الصَّرْفِ مُقْتَصِرًا عَلَى مُعَالَجَةِ القَضَايَا التَّنْظِيمِيَّةِ لِعَنَاصِرِ الْجُمْلَةِ وَوَظَائِفِهَا[١].

وَيَضْطَلِعُ (**التَّرْكِيبُ *Syntaxe***) فِي اللِّسَانِيَّاتِ الْحَدِيثَةِ بِدِرَاسَةِ عَلَاقَاتِ الرَّبْطِ وَالإِسْنَادِ النَّاشِئَةِ بَيْنَ الْوَحْدَاتِ الدَّالَّةِ دَاخِلَ نِظَامِ الجُمْلَةِ ، وَحَرَكَةِ العَنَاصِرِ فِي إِطَارِ النَّقَاطُعَاتِ الْمَنْهَجِيَّةِ الَّتِي تُمَيِّزُ التَّرْكِيبَ عَنْ بَقِيَّةِ مُسْتَوَيَاتِ الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ الأُخْرَى كَالْمُسْتَوَى الصَّوْتِيِّ (***Phonology***) الَّذِي يَهْتَمُّ بِدِرَاسَةِ التَّنَوُّعَاتِ الصَّوْتِيَّةِ الدَّالَّةِ ، وَالْمُسْتَوَى الصَّرْفِيِّ (***Morphology***) الَّذي يُعْنَى بِالتَّمَايُزِ الشَّكْلِيِّ بَيْنَ الأَبْنِيَةِ ، وَالْمُسْتَوَى الدَّلَالِيِّ(***Semantic***) الَّذِي يَبْحَثُ فِي الْمَدْلُولَاتِ وَالتَّصَوُّرَاتِ . وَالتَّمْييزُ بَيْنَ هَذِهِ الْمُسْتَوَيَاتِ هُوَ تَقْسِيمٌ مَنْهَجِيٌّ لَا يَعْنِي اِنْفِصَالَهَا ، وَإِنَّمَا اِقْتَضَتْهُ ضَرُورَاتُ البَحْثِ العِلْمِيِّ فِي إِطَارِ التَّفَاعُلِ بَيْنَ هَذِهِ الْمُسَتَوَيَاتِ[٢] .

أمَّا (**الدَّلَالَةُ**) فَمُشْتَقَّةٌ مِنْ دَلَّ يَدُلُّ دَلَالَةً أو دِلَالَةً وَدُلُولَةً بِتَثْلِيثِ الفَاءِ ، بِمَعْنَى إِبَانَةِ الشَّيءِ وإِيضَاحِهِ أَو الإِرْشَادِ إِلَيْهِ ، يَقُولُ صَاحِبُ **الْمَقَايِيسُ** : "دَلَلْتُ فُلَانًا عَلَى الطَّرِيقِ . وَالدَّلِيلُ : الأَمَارَةُ فِي الشَّيْءِ . وَهُوَ بَيِّنُ الدَّلَالَةِ وَالدِّلَالَةِ"[٣]، وَفِي **الصِّحَاحِ** :" الدَّلِيلُ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ . والدَّلِيلُ : الدَّالُّ . وَقَدْ دَلَّهُ

---

(١) انظر : الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية – أحمد عبد العزيز دراج: ٢٠ [الرياض – مكتبة الرشد ناشرون – الطبعة الأولى – ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٣م].

(٢) انظر : اللسانيات البنيوية ، منهجيات ، واتجاهات – مصطفى غلفان : ١٨٠ [لبنان – بيروت – دار الكتاب الجديد المتحدة – الطبعة الأولى – يونيو ٢٠١٣م]

(٣) معجم مقاييس اللغة– أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا : ٢٥٩/٢ (دَلَّ) [تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون– القاهرة – دار الفكر– ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م].

عَلَى الطَّرِيقِ يَدُلُّهُ دَلَالَةً وَدِلَالَةً وَدُلُولَةً ، وَالْفَتْحُ أَعْلَى"[١]، وفِي **اللِّسَانِ** :"وَدَلَّهُ عَلَى الشَّيْءِ يَدُلُّهُ دَلًّا وَدَلَالَةً فَانْدَلَّ: سَدَّدَهُ إِلَيْهِ، وَدَلَلْتُهُ فَانْدَلَّ"[٢]، وَعَلَيْهِ جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ ﴾[٣]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ﴾[٤]

وعرَّفَهَا (**شَمْسُ الدِّينِ الأَصْفَهَانِيُّ** ت ٧٤٩هـ) بِقَوْلِهِ : "اِعْلَمْ أَنَّ دَلَالَةَ اللَّفْظِ عِبَارَةٌ عَنْ كَوْنِهِ بِحَيْثُ إِذَا سُمِعَ أَوْ تُخُيِّلَ فُهِمَ مِنْهُ الْمَعْنَى لِلْعِلْمِ بِالْوَضْعِ"[٥]، وعرَّفَهَا (**الشَّرِيفُ الْجُرْجَانِيُّ** ت ٨١٦ هـ) بِقَوْلِهِ :"كَوْنُ الشَّيْءِ بِحَالَةٍ يَلْزَمُ مِنَ الْعِلْمِ بِهِ الْعِلْمُ بِشَيْءٍ آخَرَ وَالشَّيْءُ الأَوَّلُ هُوَ الدَّالُّ ، وَالثَّانِي هُوَ الْمَدْلُولُ"[٦] ؛ فَهْيَ تَلَازُمٌ بَيْنَ شَيْئَيْنِ حَالَةُ أَحَدِهِمَا (الْمَدْلُولِ) مِنْ حَالَةِ شَيْءٍ آخَرَ وَهْوَ (الدَّالُّ) ؛ فَهْيَ كَمَا يُعَرِّفُهَا (**دو سوسير *de Saussure***) مِنْ خِلَالِ انْطِبَاقِ الدَّالِّ عَلَى الْمَدْلُولِ وَهْوَ مَا سَنَعْرِضُهُ تَفْصِيلًا بَيْنَ جَنَبَاتِ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ.

---

(١) الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية – أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري : ٣٨٢ (دَلَلَ) [راجعه واعتنى به محمد محمد تامر ، و أنس محمد الشامي ، و زكريا جابر أحمد – القاهرة – دار الحديث – ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م]

(٢) لسان العرب – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي الأنصاري المصري : ٢٤٨/١١ (د لل)

(٣) طه : ٤٠/٢٠

(٤) سبأ : ١٤/٣٤

(٥) بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب – أبو الثناء شمس الدين محمود بن عبد الرحمن بن أحمد الأصفهاني : ١٥٤/١ [تحقيق محمد مظهر بقا – جدة – دار المدني للطباعة والنشر – الطبعة الأولى – ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م]

(٦) التعريفات– أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني: ١١٦ [تحقيق الدكتور عبد المنعم الحفني– القاهرة – دار الرشاد للنشر والتوزيع– ١٤١١هـ/ ١٩٩١م]

وَقَدْ حَظِيَتْ دِرَاسَةُ الْمَعْنَى بِاهْتِمَامِ كَثِيرٍ مِنَ العُلَمَاءِ والدَّارِسِينَ عَبْرَ العُصُورِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي إِطَارِ تَقَاطُعِهَا مَعَ عُلُومٍ أُخْرَى كَالْفَلْسَفَةِ ، وعِلْمِ الكَلَامِ ، والْبَلَاغَةِ ، وَعُلُومِ الدِّينِ ، وَالْمَبَاحِثِ فِي الْمُسْتَوَيَاتِ اللُّغَوِيَّةِ الأُخْرَى ، بَيْدَ أَنَّ الْخُطْوَةَ الأُولَى عَلَى طَرِيقِ تَفَرُّدِهَا كَعِلْمٍ مُسْتَقِلٍّ تَحْتَ اسْمِ (عِلْمِ الدَّلَالَةِ **Semantics**) كَانَتْ عَلَى يَدِ اللُّغَوِيِّ الْفَرَنسِيِّ (**ميشال بريال Michel Bréal 1832–1915**) حِينَ نَشَر مَقَالَهُ الصَّادِرَ عَامَ ١٨٩٧م تَحْتَ عُنوانِ: (مُحَاوَلَةٌ فِي عِلْمِ الدَّلَالَةِ **Essai de sémantique**) .

وَيُجْمِعُ الدَّارِسُونَ الْمُحْدَثُونَ عَلَى أَنَّ الْمَوْضُوعَ الرَّئِيسَ لِعِلْمِ الدَّلَالَةِ هُو الْمَعْنَى، وَمِنْ ثَمَّ قَالُوا فِي تَعْرِيفِهِ: إِنَّهُ "« دِرَاسَةُ الْمَعْنَى » أَوِ « الْعِلْمُ الَّذِي يَدْرُسُ الْمَعْنَى» ، أَوْ « ذَلِكَ الْفَرْعُ مِنْ عِلْمِ اللُّغَةِ الَّذِي يَتَنَاوَلُ نَظَرِيَّةَ الْمَعْنَى»، أو « ذَلِكَ الْفَرْعُ الَّذِي يَدْرُسُ الشُّرُوطَ الوَاجِبَ تَوَافُرُهَا فِي الرَّمْزِ حَتَّى يَكُونَ قَادِرًا عَلَى حَمْلِ الْمَعْنَى »"[١]

وَيَهْتَمُّ هَذَا الْمُسْتَوى مِنْ مُسْتَوَيَاتِ الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ بِبَيَانِ (الْمَعَانِي الْمُعْجَمِيَّةِ **Lexical meanings**) لِلْمُفْرَدَاتِ ، وَدِرَاسَةِ الْعَلَاقَاتِ بَيْنَ الْوَحْدَاتِ اللُّغَوِيَّةِ مِنَ الْمُورفِيمَاتِ وَالْكَلِمَاتِ وَالْجُمَلِ فِيمَا يُسَمِّيهِ بَعْضُ الدَّارِسِينَ (الْمَعَانِي النَّحْوِيَّةَ **Syntactic meanings**)[٢] .

شَكَّلَتْ آرَاءُ (**فرديناند دو سوسير Ferdinand de Saussure 1857– 1913**) مُنْعَطَفًا حَاسِمًا فِي مَسِيرَةِ الدَّرْسِ اللِّسَانِيِّ ، إِذْ مَثَّلَتْ أُطْرُوحَاتُهُ نُقْطَةَ الارْتِكَازِ الأَسَاسِ فِي إِطَارِ التَّحَوُّلِ الإِبِسْتِمُولُوجِيِّ الَّذِي أَسَّسَ لِمَرْحَلَةِ مَا بَعْدَ اللِّسَانِيَّاتِ الْمُقَارِنَةِ (**Comparative linguistics**) الَّتِي سَادَتْ بَعْدَ اِكْتِشَافِ السِّنْسِكْرِيتِيَّةِ فِي إِطَارِ مُقَارَنَتِهَا مَعَ اللُّغَاتِ الهِنْدُوأوروبيَّةِ ، كَمَا أَحْدَثَتْ قَطِيعَةً مَعَ اللِّسَانِيَّاتِ التَّارِيخِيَّةِ (**Historical linguistics**)

---

(١) علم الدلالة – أحمد مختار عمر : ١١ [القاهرة – عالم الكتب – الطبعة الثانية – ١٩٨٨ م]

(٢) المرجع السابق نفسه : ٧

الَّتي سَيْطَرَتْ عَلَى الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ فِي أُورُوبَا خِلَالَ القَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ وَاهْتَمَّتْ بِدِرَاسَةِ مَظَاهِرِ التَّطَوُّرِ الطَّارِئَةِ عَلَى الأَلْسُنِ البَشَرِيَّةِ فِي مُسْتَوَيَاتِهَا الصَّوْتِيَّةِ وَالصَّرْفِيَّةِ وَالتَّرْكِيبِيَّةِ وَالدَّلَالِيَّةِ عَبْرَ مَرَاحِلَ تَارِيخِيَّةٍ مُتبَايِنَةٍ ، وَوَفْقَ مَنْهَجٍ مِعْيَارِيٍّ اِنْتِقَائِيٍّ سُلْطَوِيٍّ يَهْدِفُ فِي الأَسَاسِ إِلَى غَايَاتٍ تَعْلِيمِيَّةٍ وَلَيْسَتْ عِلْمِيَّةً .

وَبِظُهُورِ اللِّسَانِيَّاتِ الوَصْفِيَّةِ (*Descriptive linguistics*) إِيذَانًا بِتَجَاوزِ مَرْحَلَةِ اللِّسَانِيَّاتِ الْمُقَارَنَةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ مِنْ خِلَالِ الدِّرَاسَةِ العِلْمِيَّةِ الْمَوضُوعِيَّةِ لِلُّغةِ ، وَدِرَاسَةِ اللُّغَةِ مِنْ أَجْلِ اللُّغَةِ ، وَلِغَايَةِ اللُّغَةِ ذَاتِهَا[1]، وَلَيْسَ لِأَجْلِ غَايَاتٍ دِينِيَّةٍ أَوْ مِيتَافِيرِيقِيَّةٍ أَوْ فِيلُولُوجِيَّةٍ[2] أَوْ أَيْدِيُولُوجِيَّةٍ ، انشَغَلتِ الدِّرَاسَاتُ اللُّغَوِيَّةُ بالوَصْفِ وَالتَّحْلِيلِ لِلِسَانٍ مُعَيَّنٍ فِي مَرْحَلَةٍ تَارِيخِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ بَعِيدًا عِنِ الانْتِقَائِيَّةِ الَّتي مَارَسَتْهَا الدِّرَاسَاتُ التَّارِيخِيَّةُ ؛ فَأَصْبَحَتِ الْمُعْطَيَاتُ اللُّغَوِيَّةُ جَمِيعُهَا وَارِدَةً فِي الدِّرَاسَةِ بِمُسْتَوَيَاتِهَا الْمَكْتُوبَةِ وَالْمَنْطُوقَةِ ، وَدُونَ إِصْدَارِ أَحْكَامٍ قِيمِيَّةٍ عَلَى تِلْكَ الْمُعْطَيَاتِ ، وَهُوَ مَا أَحْدَثَ طَفْرَةً نَوْعِيَّةً تَجَاوَزَتِ الدَّرْسَ اللُّغَوِيَّ السَّابِقَ عَلَيْهَا .

وأَسَّسَتْ مُحَاضَرَاتُ (**دو سوسير *de Saussure***) الَّتِي نُشِرَتْ بَعْدَ وَفَاتِهِ لِسَيْطَرَةِ اللِّسَانِيَّاتِ الوَصَفِيَّة الَّتي انْبَثَقَ عَنْهَا التَّصَوُّرُ البِنْيَوِيُّ الَّذِي ظَلَّ مُهَيْمِنًا عَلَى مَجَالَاتِ الدَّرْسِ اللِّسَانِيِّ لِقُرَابَةِ نِصْفِ قَرْنٍ ، حَتَّى ظُهُورِ

---

(١) انظر " علم اللغة العام " – فرديناند دو سوسير – ترجمة يوئيل يوسف عزيز – مراجعة النص العربي – د / مالك يوسف المطلبي – بغداد – دار آفاق عربية – ١٩٨٥م – صفحة ٢٥٣

(٢) مصطلح الفيلولوجيا (*Philology*) مصطلح قديم يعرف باسم (علم النصوص)، وهو علم يُعنى بتحقيق المخطوطات ومعالجة نصوصها ، وخاصة ما يغمض تفسيره منها، كما يُعنى بفك رموز الكتابات القديمة ، وهو علم لا يقتصر على دراسة اللغة بل يهتم أيضا بدراسة الثقافة والتقاليد والتاريخ والإنتاج الأدبي في الأزمنة القديمة . انظر : الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية – أحمد عبد العزيز دراج – الرياض – مكتبة الرشد ناشرون – الطبعة الأولى – ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٣م – ص ٢٣ – ٢٤ .

اللِّسَانِيَّاتِ التَّحْوِيلِيَّةِ (***Transformational linguistics***) عَلَى يَدِ (**نعوم تشومسكي *Noam Chomsky 1928***) الَّذِي أَحدَثَتْ نَظَرِيَّتُهُ التَّوْلِيدِيَّةُ التَّحْوِيلِيَّةُ ثَوْرَةً فِي مَجَالِ الدِّرَاسَاتِ اللِّسَانِيَّةِ وَسَيْطَرَتْ عَلَى هَذَا الْحَقلِ مَا يَقْرُبُ مِنْ نِصْفِ قَرَن أَوْ يَزِيدُ ، إِلَى أَنْ ظَهَرَتِ اللِّسَانيَّاتُ الإِدْرَاكِيَّةُ (*Cognitive linguistics*) مَعَ نِهَايَاتِ القَرْنِ العِشْرِينَ ، تَحْمِلُ تَصَوُّرَاتٍ مُخْتَلِفَةً وتَغْيِيرَاتٍ جَوْهَرِيَّةً فِي نَظْرَتِهَا إِلَى الْمُسْتَوَيَاتِ اللُّغَوِيَّةِ وَآلِيَّاتِ التَّعَالُقِ بَيْنَهَا ، وخَاصَّةً فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمِحْوَرَي التَّرْكِيبِ والدَّلَالَةِ ، وَكَانَ هَذَا هُوَ دَافِعُنَا الرَّئِيسُ للنُّهُوضِ بِهَذِهِ الدِّرَاسَةِ .

وَتَكْمُنُ **أَهَمِيَّةُ** هَذِهِ الدِّرَاسَةُ فِي كَوْنِهَا تَتَّسِقُ مَعَ مَا تَفْرِضُهُ التَّطَوُّرَاتُ الْعِلْمِيَّةُ الْمُتَلَاحِقَةُ فِي مَجَالِ الدِّرَاسَاتِ اللِّسَانِيَّةِ وَهْوَ مَا يُحَتِّمُ عَلَيْنَا ضَرُورَةَ مُوَاكَبَةِ جَدِيدِ هَذِهِ الدِّرَاسَاتِ وَبُحُوثِهَا ؛ لِنَخْتَبِرَ مَدَى اتِّساقِهَا مَعَ حَاجَاتِنَا الْعِلْمِيَّةِ بِهَدَفِ صَهْرِ الْمُلَائِمِ مِنْهَا فِي بَوْتَقَةِ عُلُومِنَا الْعَرَبِيَّةِ وَوِعَاءِ ثَقَافَتِنَا الْمُعَاصِرَةِ ، وَمِنْ هُنَا تَمَحْوَرَتْ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ حَوْلَ مُسْتَوَيَيْنِ مِنْ مُسْتَوَيَاتِ الدَّرسِ اللِّسَانِيِّ الحدِيثِ هُمَا (التَّرْكِيبُ) ، و (الدَّلَالَةُ) .

وَتَرُومُ الدِّرَاسَةُ تَحْقِيقَ فَهْمٍ أَعْمَقَ تُجِيبُ مِنْ خِلَالِهِ عَنْ **إِشْكَالِيَّاتٍ** مُزْدَوَجَةٍ تَتَعَلَّقُ بِطَبِيعَةِ مُكَوِّنَاتِ الْمَفْهُومَيْنِ ، وَطَبِيعَةِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَهُمَا دَاخِلَ النِّظَامِ اللُّغَوِيِّ فِي إِطَارِ الْمَدَارِسِ اللُّغَوِيَّةِ بِدَايَةً مِنَ البِنْيَوِيَّةِ ، وَمُرُورًا بالتَّوْلِيدِيَّةِ التَّحْوِيلِيَّةِ ، وَانْتِهَاءً باللِّسَانِيَّاتِ الإِدْرَاكِيَّةِ الْمَعْرِفِيَّةِ ، وَهْيَ إِشْكَالِيَّاتٌ تَطْرَحُ عِدَّةَ **تَسَاؤُلَاتٍ** تُحَاوِلُ دِرَاسَتُنَا الإِجَابَةَ عَنْهَا ، وَمِنْ أَبْرَزِ هَذِه التَّسَاؤُلَاتِ :

مَا الطَّبِيعَةُ الْمَفْهُومِيَّة لِكُلٍّ مِنَ التَّرْكِيبِ والدَّلَالَةِ فِي إِطَارِ الأُسُسِ الإِبِسْتِمُولُوجِيَّةِ لِهَذِه الْمَدَارِسِ اللِّسَانِيَّةِ الْمُتَبَايِنَةِ ؟

وهَلْ اِخْتَلَفَتْ نَظْرَةُ هَذِهِ الْمَدَارِسُ إِلَى بِنْيَةِ هَذَيْنِ الْمَفْهُومَيْنِ اخْتِلَافًا أَثَّرَ عَلَى تَمَرْكُزَاتِهِمَا دَاخِلَ النِّظَامِ اللُّغَوِيِّ مِنْ مَنْظُورِ كُلِّ مَدْرَسَةٍ مِنْهَا ؟

ومَا مَشروعيَّة الفَصْلِ بَيْنَ هَذِهِ الْمُسْتَوَيَاتِ اللُّغَوِيَّة ؟

ومَا الْمَعَاييرُ الَّتي تَحْكُمُ تَحْدِيدَهَا وَانْسِجَامَهَا وَتَعَالُقَهَا فِي إِطَارِ النِّظَامِ اللُّغَوِيّ ؟

وَتَنْطَلِقُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ مِنْ **فَرْضِيَّةٍ** أَوَّلِيَّةٍ تُحَاوِلُ أَنْ تَتَلَمَّسَ الطَّرِيقَ الصَّحِيحَةَ لِحَلِّ هَذِهِ الإِشْكَالِيَّاتِ والإِجَابَةِ عَنْ هَذِه التَّساؤُلَاتِ ، وَهْيَ أَنَّ ثَمَّةَ تَبَايُنَاتٍ عَمِيقَةً بَيْنَ الْمَدَارِسِ اللِّسَانِيَّةِ الْحَدِيثَةِ والْمُعَاصِرَةِ حَوْل طَبِيعَةِ البِنَائِيَّةِ لِمُكَوِّنَي التَّرِكِيبِ والدَّلَالَةِ ، وَأَنَّ هُنَاكَ تَجَاذُباتٍ نَحْوَ الْمَرْكَزِ تَبْئِيرًا وَتَهْمِيشًا قَدْ أَطَّرَتْ لِطَبِيعَةِ الْعَلَاقَةِ بِيْنَ هَذَيْنِ الْمِحْوَرَيْنِ دَاخِلَ النِّظَامِ اللُّغَوِيّ .

وَمِنْ هُنَا جَاءَ **اخْتِيَارُنَا** لِمَوْضُوعِ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ مِنْ أَجْلِ الكَشْفِ عَنْ بِنْيَةِ هَذَهِ الْمُسْتَوَيَاتِ ، وَطَبِيعَةِ العَلَاقَةِ بَيْنَهَا ، بَعْدَمَا رَصَدْنَا بِصُورَةٍ أَوَّلِيَّةٍ بَعْضَ التَّبَايُنَاتِ حَوْلَ طَبِيعَةِ هَذِهِ الْمُكَوِّنَاتِ ، وَآلِيَّاتِ التَّعَالُقِ بَيْنَهَا فِي إِطَارِ النِّظَامِ اللُّغَوِيّ .

وَتَهْدِفُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ إِلَى بَلْوَرَةِ رُؤْيَةٍ مُتَكَامِلَةٍ لانْتِظَامِ هَذَيْنِ الْمُسْتَوَيَيْنِ وَاشْتِغَالِهِمَا فِي إِطَارِ الْمَنَاهِجِ الْمُتَبَايِنَةِ لِلْمَدَارِسِ اللُّغَوِيَّةِ الحَدِيثَةِ وَالْمُعَاصِرَةِ ، وَطَبِيعَةِ الآلِيَّاتِ الَّتِي تَحْكُمُ العَلَاقَاتِ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْمُسْتَوَيَاتِ اللُّغَوِيَّةِ الأُخْرَى مَنْهَجِيًّا وَإِجْرَائِيًّا.

وَمَنْهَجُنَا فِي الْمُعَالَجَةِ وَالتَّنَاوُل مَنْهَجٌ وَصْفِيٌّ يَعْتَمِدُ آلِيَّاتِ الاسْتِقْرَاءِ وَالوَصْفِ وَالتَّحْلِيلِ لِطَبِيعَةِ هَذِهِ الْمُسْتَوَيَاتِ وَانْتِظَامِهَا وَاشْتِغَالِهَا فِي إِطَارِ النِّظَامِ اللُّغَوِيّ .

وَتَنْحَصِرُ **حُدُودُ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ** فِي الْمَدَارِسِ اللِّسَانِيَّةِ الحَدِيثَةِ بَدْءًا مِنْ البِنْيَوِيَّة وَنِظَامِهَا اللُّغَوِيّ الَّذِي أَحْدَثَتْهُ عَلَى يَدِ (دو سوسير) ، وَمُرُورًا بِجُهُودِ (تشومسكي) وَالتَّطَوُّرَاتِ وَالانْسِلَاخَاتِ الَّتِي مَرَّتْ بِهَا نَظَرِيَّتُهُ التَّوْلِيدِيَّةُ التَّحْوِيلِيَّةُ ، وَانْتِهَاءً بِاللِّسَانِيَّاتِ الإِدْرَاكِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ وَجُهُودِهَا فِي التَّحْلِيلِ الدَّلَالِيّ وَتَجَلِّيَاتِهَا فِي مُسْتَوَيَاتِ اللُّغَةَ الْمُخْتَلِفَةِ.

وَهُنَا نُشِيرُ إِلَى أَمْرٍ عَظِيمِ الأَهَمِيَّةِ وَهْوَ أَنَّهُ إِذَا كُنَّا لَمْ نَتَطَرَّقْ فِي هَذِهِ الدِّرَاسَةِ إِلَى أُصُولِ هَذِهِ النَّظَرِيَّاتِ وَتَحْلِيلِهَا لِلْمُسْتَوَيَاتِ اللُّغَوِيَّةِ فِي الدَّرْسِ

اللُّغَوِيِّ العَرَبِيِّ ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَعُودُ إِلَى أَنَّنَا نَتَطَلَّعُ إِلَى البَدْءِ فِي دِرَاسَةِ الأُصولِ النَّظَرِيَّةِ لِهَذِهِ الْمُسْتَوَيَاتِ فِي إِطَارِ الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ العَرَبِيِّ قَدِيمِهِ وَحَدِيثِهِ فِي دِرَاسَاتٍ قَادِمَةٍ بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى .

وَمَعَ تَشَتُّتِ التَّلَقِّي العَرَبِيِّ لِهَذِهِ اللِّسَانِيَّاتِ الحَدِيثَةِ ، وَصُعُوبَةِ التَّمَكُّنِ مِنْ مُفْرَدَاتِهَا ، وَتَضَارُبِ تَرْجَمَاتِهَا وَعَدَمِ التَّنْسِيقِ بَيْنَهَا ، وَاجَهَتِ الدِّرَاسَةُ **مُشْكِلَاتٍ** وَتَحَدِّيَاتٍ عَدِيدَةً يَأْتِي عَلَى رَأْسِهَا أَنَّ التَّعَاطِي مَعَ هَذِهِ اللِّسَانِيَّاتِ لَا يَرْتَبِطُ بِاتِّجَاهٍ مُوَحَّدٍ عَلَى مُسْتَوَى الْمَدْرَسَةِ اللُّغَوِيَّةِ الوَاحِدَةِ ، بَلِ باتِّجَاهَاتٍ عَدِيدَةٍ تَتَجَاذَبُها اخْتِلَافَاتٌ فِي الْمُعَالَجَةِ وَالْمَفَاهِيمِ ، وَهُوَ مَا يَفْرِضُ عَلَى البَاحِثِ جُهْدًا أَكْبَرَ مِنْ أَجْلِ الإِحَاطَةِ بِهَذِهِ الاخْتِلَافَاتِ فِي إِطَارِ تَقَاطُعِهَا مَعَ قَضَايَا دِرَاسَتِهِ وَمُفْرَدَاتِهَا، كَمَا أَنَّ إِشْكَالِيَّاتِ التَّرْجَمَةِ فِي التَّلَقِّي العَرَبِيِّ لِهَذِهِ اللِّسَانِيَّاتِ جَعَلَتْنَا نُؤْثِرُ الاسْتِئْنَاسَ بِالْمُصْطَلَحِ اللِّسَانِيِّ فِي لُغَتِهِ الأَجْنَبِيَّةِ الأَصْلِيَّةِ ؛ لِنَتَحَصَّنَ بِهِ فِي التَّوثِيقِ لِفِكْرَتِنَا دُونَ الدُّخُولِ فِي الْمُشْكِلَاتِ الْمُرْتَبِطَةِ بِالتَّرْجَمَةِ العَرَبِيَّةِ لِهَذَا الْمُصْطَلَحِ .

وَقَدِ اقْتَضَتْ **خُطَّةُ الدِّرَاسَةِ** أَنْ تَتَضَمَّنَ (**مُقَدِّمَةً**)، وَثَلَاثَةَ مَبَاحِثَ رَئِيسَةٍ انْتَظَمَ كُلٌّ مِنْهَا مَطْلَبَيْنِ ، وَجَاءَ أَوَّلُ هَذِهِ الْمَبَاحِثِ تَحْتَ عُنْوَانِ: (**التَّرْكِيبُ وَالدَّلَالَةُ فِي إِطَارِ اللِّسَانِيَّاتِ البِنْيَوِيَّةِ**)، وَجَاءَ ثَانِيهَا تَحْتَ عُنْوَانِ: (**التَّرْكِيبُ وَالدَّلَالَةُ فِي إِطَارِ النَّظَرِيَّةِ التَّوْلِيدِيَّةِ التَّحْوِيلِيَّةِ**)، وَجَاءَ ثَالِثُهَا بِعُنْوَانِ : (**التَّرْكِيبُ وَالدَّلَالَةُ فِي إِطَارِ اللِّسَانِيَّاتِ الإِدْرَاكِيَّةِ**)، تَقْفُوهَا جَمِيعًا **خَاتِمَةٌ** تَتَضَمَّنُ أَهَمَّ **نَتَائِجِ** الدِّرَاسَةِ ، وَاخْتُتِمَتِ الدِّرَاسَةُ **بِثَبَتٍ لِمَصَادِرِهَا وَمَرَاجِعِهَا** .

المبحث الأوَّلُ
التَّركيبُ والدَّلَالَةُ
في إطارِ اللِّسَانيَّاتِ البنيويَّةِ

(***Structural linguistics***)

على مدى نصف قرن هَيمنَتِ اللِّسانيَّات البنيويَّة على الدَّرس اللُّغويّ من خلال مفاهيمَ واضحةٍ ، ومنهجيَّة إجرائيَّة محددَّة ، واستمرَّ توهُّجها حتَّى نهاية الخمسينات من القرن الماضي حين بزغت مرحلة لسانيَّة جديدة بظهور اللِّسانيَّات التَّحويليَّة (*Transformational linguistics*) ، وإن كان ذلك لا يعني أنَّها لم تعُد صالحةً للدرس اللِّسانيّ وإجراءاته التحليليَّة ، إذ ما تزال مبادِئُها الكبرى ومنطلقاتها الإبستمولوجيَّة قائمةً ، في إطار خضوعها لعمليات مراجعة للعديد من الأسس والمفاهيم والتَّصوُّرات البنيويَّة .

ويتمايز داخل اللِّسَانيَّات البنيويَّة اتِّجاهان متكاملان تحت ما يسمَّى بالبنيويَّة الأوروبيَّة ، والبنيويَّة الأمريكيَّة يتقاربان أحيانًا في بعض التصوُّرات ويتباعدان في الوقت عينه تبعًا لاختلاف المصدر ، إذ ترتكز اللِّسانيَّات البنيويَّة الأوروبيَّة إلى الأصول الفكريَّة التي طرحها (**دو سوسير**) ، بينما ترجع اللِّسَانيَّات البنيويَّة الأمريكيَّة إلى أفكار وطروحات (**فرانز بوعز** *Franz Boas 1858 – 1942*) ، و (**إدوارد سابير** *Edward Sapir – 1884 1939*) ، و (**بلومفيلد** *Bloomfield 1887 – 1949*) ، وترتكز اللِّسانيَّات البنيويَّة الأوروربيَّة "إلى مجموعة من الحقائق والفرضيَّات العامَّة حول طبيعة اللُّغة ، بينما علم اللُّغة الوصفي عند اللِّسانيِّين الأمريكيِّين مجموعة من تقنيات الوصف."(١)

(١) المدارس اللسانية : التطور والصراع – جيفري سامبسون : ص ٧٥ (ترجمة أحمد نعيم الكراعين) – بيروت – المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع – ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

وقد تأثَّر (**دو سوسير**) بالأفكار الفلسفيَّة التَّجريبيَّة الإمبريقيَّة عند (**جون لوك** *John Locke 1632–1704*) الَّتي تُؤمن بأنَّ المعرفة الإنسانيَّة ليس مصدرها العقل ، وإنَّما تأتي بشكل رئيس من خلال الخبرة والحواس ، دون وجود أيَّة أفكار فطرية عند الإنسان أو أي معرفة سابقة للخبرة العملية ، فالتجربة هي الَّتي تمدُّنا بالمعارف ؛ فالإنسان يولد وذهنه كورقة بيضاء ، تسطِّر خطوطها التجاربُ والخبرات(١).

والمبدأ الأساس الذي ارتكزت إليه بنيويَّة (**دو سوسير**) هو الرُّؤية الثُّنائيَّة (*Dichotomie*) ؛ ففرَّق بين (اللُّغة *Langage*) ، و(اللِّسان ***La Langue***) ، فاللُّغة تُحيل إلى الْمَلَكة اللِّسانيَّة الَّتِي يمتلكها جميع البشر وتمكِّنهم من امتلاك لسان الفصيلة اللُّغويَّة الَّتي ينتمون إليها وَفق مواضعات واصطلاحات معيَّنة ، بينما يقصد باللِّسان ذلك النَّسيج المنظَّم من الأنظمة والقواعد وأنماط الأبنية الَّتي تواضع على استعمالها جميع أفراد مجتمع لغوي معيَّن(٢)، كما فرَّق بين (اللِّسان ***La Langue***) ذي الطابع الاجتماعيّ ، و (الكلام ***La Parole***) المرتبط بالفرد ، فكلُّ فرد في المجتمع يتعلَّم مجموعة من الكلمات والقواعد المؤطِّرة للِّسان الذي يتكلَّم به ، لكنَّه يوظِّفها بشكلٍ فرديٍّ في إنتاج اللُّغة ، وفق ما يُسَمَّى بالأسلوب الخاصّ ؛ **فاللُّغة** مَلَكةٌ إنسانيَّة عامَّة في مُقابل **اللِّسان** المحكوم بإطار اجتماعيٍّ مستقل عن الفرد ،

---

(١) يعبِّر مصطلح (الإمبريقية *Empircism*) عن الخبرة ، والخبرة مصدرها الحواس وبالتالي فإن المعرفة الإنسانية تستمد شرعيتها من مرورها بهذه الحواس حتى تصبح بذلك قابلة للتحقق من صحتها ومفهوم الإمبريقية يدل على كل ما يتعلق بدراسة المجتمع الإنساني بالاحتكام إلى الواقع المحسوس سواء في اختيار المشكلة وجمع الحقائق أو في تصنيف البيانات وتحليلها . [نقلًا عن :
https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%AA%D8%AC%D8%B1%D9%8A%D8%A8%D9%8A%D8%A9_(%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9)&oldid=53034359

(٢) انظر " علم اللغة العام : ٣٢–٣٣ .

بينما **الكلام** هو منتوج فرديٌّ ينتمي إلى هذا اللِّسان أو ذاك ، ويتَّسم بالفردية التي تتوقف على الذكاء وإرادة الفرد(١)، وهذا المنطلق الذي ارتكزت إليه اللِّسانيَّات الجديدة بوصفها نظامًا اجتماعيًّا حريًّا بالدِّراسة .

ويستند التَّحليل البنيويُّ إلى جملة من الإجراءات التي تستهدف تحليل بنية لغوية محدَّدة ، إذ لا يهتمُّ التَّحليل البنيويُّ إلَّا بما يُشكِّل في ذاته بنية قائمة بذاتها مستقلة بنفسها ، أو ما يعرف بالمتن (*Corpus*) في إطار شبكة العلاقات بين مكوناتها الصَّوتيَّة والصَّرفيَّة والتَّركيبيَّة في متوالية تنازليَّة تنطلق من الكل وصولًا إلى العناصر التَّكوينيَّة لهذه البنية ، معتمدة في ذلك على منهجٍ وصفيٍّ استقرائيٍّ تجريبيٍّ ، يَستقرِي الظواهر والوقائع في إطار ملاحظة مقنَّنة من أجل رصد العلاقات وطبيعتها وخصائصها ، ومن ثَمَّ تصنيفها واستنباط النَّتائج المرتبطة بها بهدف الوصول إلى القواعد العامَّة والأُطر المشتركة بينها ، وينطلق تحليلها في ظل تمييز واضح بين ما هو (تعاقبيٌّ / دياكرونيٌّ *Diachronic*) الذي يدرس اللُّغة في سياق تطورها ، وما هو (تزامنيٌّ / سانكرونيٌّ *Synchronic*) يدرس اللُّغة في سياق فترة زمنية محدَّدة مُرَكِّزًا على نظامها وعناصرها وقواعدها الثابتة .

في البدء كان النِّظامُ :

للبنيويَّة طريقة في دراسة اللُّغة ترتكز إلى الطَّرح الرَّئيس الَّذي قدَّمه (**دو سوسير *de Saussure***) وهو أنَّ اللُّغة نظامٌ (***System***) أو نَسَقٌ من العلامات له هيكله الخاصُّ الَّذي يستند إلى مجموعة من القوانين الَّتي تُنظِّم العلاقات بين المفردات والتَّراكيب لتُشّكِّلَ نظامًا أو بنية(٢)، ومن ثَّم فإنَّ القضية الأساس الَّتي يتحتَّم على الدَّرس اللِّسانيّ الاهتمامُ بها هي دراسة

(١) انظر : المرجع نفسه ٣٢ .

(٢) انظر : العلامة ، تحليل المفهوم وتاريخه – أمبرتو إيكو : ١١٧ [ترجمة سعيد بنكراد – المغرب – الدار البيضاء – المركز الثقافي العربي – — الطبعة الثانية – ٢٠١٠م] .

الآليَّات والطُّرق الَّتي تأتلف من خلالها هذه الوحدات اللُّغويَّة ، والعمل على اكتشافها ووصفها.

وهذا النِّظام أو البنيَّة تتمُّ دراسته في الإطار الدَّاخليِّ لمجموعة العناصر المترابطة الَّتي تُشكِّلهُ ، حيثُ لا قيمة لكلِّ عنصر إلَّا في إطار العلاقات التي تربطه بغيره من العناصر داخل هذه البنية ، فالكلمات أو العلامات اللُّغويَّة تكتسب قيمتها من انتظامها مع الوحدات اللُّغويَّة الأخرى داخل هذه البنية وفق أسس من الاختلاف أو التقابل أو التكافؤ ، ودراسة العلاقات الداخليَّة ذات القيم الفارقة أو المتكافئة بين العلامات اللُّغويَّة ، تتمُّ عبر محورين متقاطعين من العلاقات يُفرز كلٌّ منهما نمطًا مستقلًّا من القيم النسبية ، في إطار ثنائية (**التركيب** *Syntagmatique*) ، و (**الاستبدال** ***Paradigmatique***) ، فعلى مستوى التركيب *Syntagmatique* أو المستوى الأفقي الخطِّيِّ تتفاعل العناصر اللُّغويَّة فيما بينها استنادًا إلى مبدأ (**خَطِّيَّة الدَّالِّ** ***linéarité du significant***) ، وهنا لا تتوضَّع العناصر الصَّوتيَّةُ والصَّرفيَّة داخل الأنساق التَّركيبيَّة وَفق كيفيَّة اعتباطيَّة (***Arbitraire***)، وإنَّما تخضع لمنظومة من القواعد والأطر الحاكمة لائتلافها وتواترها الموقعيِّ ؛ فقواعد"التَّركيب في الألسن الطبيعيَّة قواعد تضبط العلاقات القائمة على التجاور الموقعيِّ"(١)، ويُضفي كلُّ عنصرٍ منها معنًى إضافيًّا على التَّركيب في إطار حالة تقابليَّة خلافيَّة مع العناصر الأخرى ، ولا تكتسب قيمتها إلا من خلال التقابل مع الوحدات المصاحبة داخل بنية التَّركيب .

أمَّا على المستوى العموديِّ أو مستوى العلاقات الاستبداليَّة ***Relations Paradigmatiques*** ، فإنَّ الوحدات اللُّغويَّة تستدعي في أذهاننا – بصورة اختياريَّة – وحدات لغويَّة أخرى ترتبط معها بصلات لغويَّة

(١) اللسانيات البنيوية ، منهجيات ، واتجاهات – مصطفى غلفان : ١٨٢ [لبنان – بيروت – دار الكتاب الجديد المتحدة – الطبعة الأولى – يونيو ٢٠١٣م]

ما، فهي علاقات ضمنيَّة تحدث خارج السلسلة الكلاميَّة ، وإنَّما تستقر في ذاكرة المتكلم، وتشكِّل محورًا عموديًّا استبداليًّا ، فعلى مستوى التَّركيب (يمارس المعلم عملًا نبيلًا)، نجد أن العلاقات الناجمة عن انتماء الوحدات الصرفيَّة إلى فئة واحدة يمكن أن تستبدل بوحدات أخرى (يمارس/ تمارس/ نمارس/ أمارس) أو أن تستبدل الكلمات بكلمات أخرى قد تستدعيها في الذهن ذات خصائص مماثلة أو متقاربة أو متباعدة ، كما هو موضَّح في الشكل الآتي :

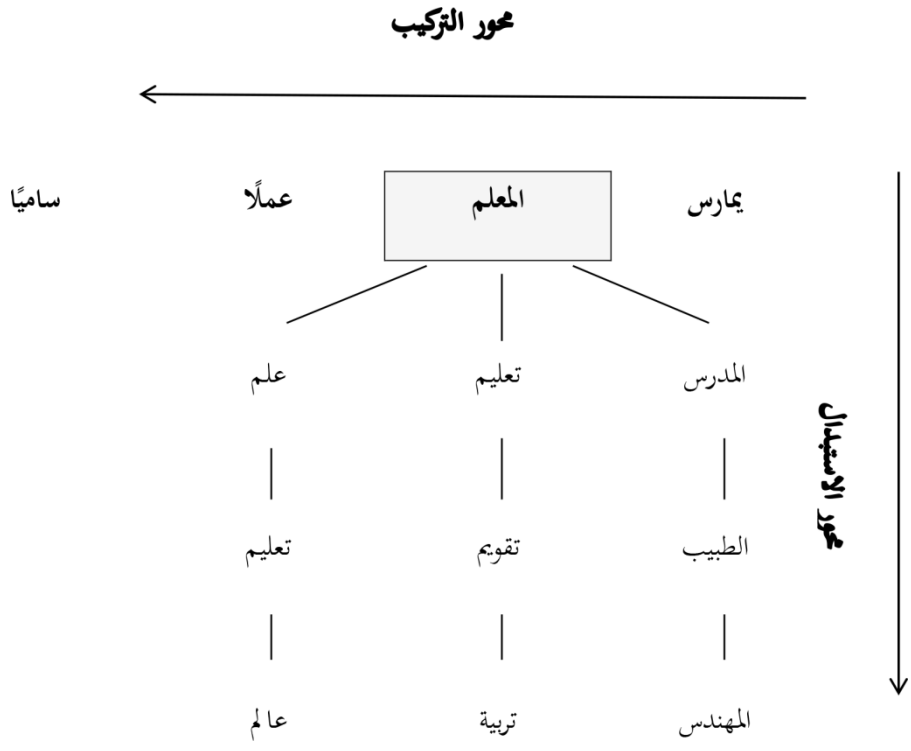

وعلى الرغم من أنَّ (**دو سوسير**) قد استعمل مفهوم التَّرابط أو التَّداعي (*Association*) لأوَّل مرَّة في الدَّرس اللِّسانيّ ، فإنَّه لم يضبط الآليَّة التي تتمُّ من خلالها عمليَّات التَّرابط أو التَّداعي للعناصر اللُّغويَّة في ذهن المتكلِّم.(١)

وعلى خطى المبادئ السوسيريَّة الأساس ، ممتزجة بأثر واضح لوظيفيَّة (**حلقة براج** *Prague Circle*) وخاصَّة أفكار (**تروبتسكوي** *Trubetzkoy 1890–1938*) ، يُعالج (**أندريه مارتينيه** *André Martinet 1908–1999*) اللُّغة في إطار مفهوم وظيفيّ بوصفها وسيلة للتَّواصل بين الأفراد والجماعات ، وتنطبق هذه الوظيفيَّة على جميع العناصر اللُّغويَّة المكوِّنة للتَّركِيب ، غير أنَّ وظيفيَّة مارتينيه لا تؤسِّس لنظريَّة لسانيَّة عامَّة ، ولا تعدو أكثر من كونها مقاربة تقدِّم وصفًا بنيويًّا واقعيًّا وظيفيًّا للوقائع اللُّغويَّة في لسان محدَّد في إطار مفهوم (التَّمَفْصُل المزدوج *articulation Double*) الَّذي يتمُّ من خلاله تحليل اللِّسان عبر مستويين أولهما مَعنيٌّ بتحليل التَّعبير والمضمون أو الوظيفة التَّواصليَّة للِّسان ؛ فيحلَّل التَّركيب إلى وحداته الدَّالَّة ، وفي إطاره يتمُّ تحليل التّركيب في إطار معالجة وظيفيَّة لطبيعة العناصر المؤلِّفة له ووظائفها التَّركيبيَّة ، أمَّا الثاني فتُقسَّم فيه وحدات المستوى الأوَّل إلى وحدات صوتيَّة صغرى لا تمتلك دَلالة في ذاتها أو ما يمكن تسميته بمستوى التَّحليل الصَّوتيّ (٢).

---

(١) انظر : اللسانيات البنيوية ، منهجيات ، واتجاهات – مصطفى غلفان : ١٨٣ ، وانظر كذلك : اللسانيات ، النشأة والتطور – أحمد مؤمن : ١٣٠ وما بعدها [الجزائر – ديوان المطبوعات الجامعية – معهد اللغات الأجنبية – جامعة قسنطينة – الطبعة الثانية – ٢٠٠٥م]

(٢) انظر : العلامة ، تحليل المفهوم وتاريخه – أمبرتو إيكو : ١١٩ [ترجمة سعيد بنكراد – المغرب – الدار البيضاء – المركز الثقافي العربي – الطبعة الثانية – ٢٠١٠م]

وقد أولى **مارتينيه** المفصل التَّركيبيَّ اهتمامًا كبيرًا من أجل الوقوف على القواعد التَّأليفيَّة التَّركيبيَّة في اللُّغة ، إذ إنَّ عمليَّات الربط بين العناصر اللُّغويَّة لا تأتي خبطَ عشواءَ وإنَّما تخضع لقواعدَ وقوانينَ تركيبيَّةٍ تحيل إلى علاقات دقيقةٍ بين الدَّالِّ والمدلول أو بين الشَّكل ومضمونه ، في إطار بُعدٍ وظيفيٍّ يهتمُّ بالطَّرائق التي عالج بها المرسل وحداته التركيبيَّة الدَّلاليَّة بالصُّورة الَّتي تحقِّق التَّواصل بينه وبين المتلقِّي .

ومع تبلور التَّوزيعيَّة (*Distributive*) الأمريكيَّة على يد (**بلومفيلد** *Bloomfield*) في كتابه (اللغة *Language*) ، الذي طرح من خلاله أدواتٍ بحثيَّةً ، وإطارًا مفهوميًّا متأثِّرًا بالتيَّار السُّلوكيِّ في علم النَّفس الَّذي كان سائدًا في تلك الحقبة ، ومستلهمًا مفاهيمه الَّتي حاول إسقاطها على النِّظام اللُّغويِّ ، وركَّز على الطَّابع العلميِّ للوصف من خلال وصف شكليٍّ لمتن مغلقٍ تُحَلَّلُ مكوناته والقوانين الحاكمة لبنيته من خلال منهج توزيعيٍّ يعالج "جميع المواقع الَّتي يمكن أن تحتلها الوحدات في نظام لغة بعينها ، معالجة مبنية على الملاحظة والوصف ، أي على تحديد توزيع الوحدات اللُّغويَّة *Distribution of Linguistic Units*"[(١)]، من خلال التَّحليل للمكونات المباشرة لشبكة العلاقات التي تربط الأجزاء بالكل ،استنادًا إلى فكرة توزيع العناصر اللُّغويَّة تبعًا لوظيفتها على مستوى التَّركيب[(٢)]، فالعناصر اللُّغويَّة لا تُوزَّع بطريقة عشوائيَّة بل وَفق القيود التَّوزيعيَّة التي يفرضها نظام لغة ما ، والَّتي تُعِدَّ ما يخالفُها تراكيبَ غيرَ مقبولةٍ ، واعتماد هذا النَّهج من التَّحليل أضفى على التَّوزيعيَّة قدرًا كبيرًا من العلميَّة والموضوعيَّة الَّتي توخَّاها بلومفيلد

---

(١) اتجاهات البحث اللساني – ميلكا إفيتش – ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح ، ووفاء كامل فايد – القاهرة – منشورات المجلس الأعلى للثقافة – المشروع القومي للترجمة – الطبعة الثانية – ٢٠٠٠م – صفحة : ٢٧٩

(٢) انظر : العربية وعلم اللغة البنيوي – حلمي خليل : ١٧٢ [الإسكندرية – دار المعرفة الجامعية – الطبعة الأولى – ١٩٩٦م .]

، وتقوم الفكرة الأساسيَّة في التَّحليل إلى المكونات المباشرة على تقسيم الجملة بشكل تدريجيٍّ تراتبيٍّ إلى مكونيها الإسناديَّيْن الرَّئيسَيْن [1]، ثمَّ يتوسَّع مرَّة أخرى إلى مكوِّنين فرعيين وصولًا إلى الوحدات الصغرى (المورفيمات *Morphemes*)[2].

وانطلاقًا من التصوُّرات التَّركيبيَّة عند بلومفيلد فيما يتعلَّق بالتَّحليل إلى المكونات المباشرة ظهر مفهوم (**نحو المركَّبات** *Grammars of constituents*) ، الَّذي خضع لعمليَّات متتابعة من إعادة التَّشكيل والصِّياغة على يد (**زيليج هاريس** *Zellig Harris – 1909–1992*) ، و (**رولان ويلز** *Rulon Wells – 1854–1941*) ، و (**تشارلز هوكيت** *Charles Hockett – 1916–2000*).

وعلى الرُّغم من أنَّ البنيويَّة على اختلاف اتِّجاهاتها تستند إلى النِّظام اللُّغويِّ بمستوياته المختلفة ، فإنَّها قد ركَّزت فيها على التَّركيب ودوره في التَّأليف بين الوحدات اللُّغويَّة وترتيبها والعلاقات النَّاشئة بينها ، والقواعد التي تحكم تلك العمليَّات، وهو ما أضفى على تحليلها اللُّغَوِيِّ طابعًا وصفيًّا شَكليًّا، في ظلِّ قناعاتٍ تؤمن بأنَّ الدَّلالَة لا يمكن إخضاعها للدَّرس الوصفيِّ

(1) Language, Leonard bloomfield , Henery Holt And company,INC, NEW YORK,1933,p 166-167

وتستند آليَّة التحليل المباشر لمكونات الجملة عند بلومفيلد إلى التقسيم الأرسطي المنطقي للجملة إلى (موضوع/محمول) (*Subject / predicate*) ، أو بنية الفاعل والحدث (*actor /action*) وفق تعبير بلومفيلد وهو تقسيم لا يمكن تطبيقه على جميع الألسن ، وهو ما حاول (لوسيان تنيير *Tesniere Lucien*) تجاوزه من خلال نموذجه في التحليل الذي يستند إلى فكرة (التبعية) بين مكونات الجملة ، إذ يرتكز التحليل على الوحدات المركزية التي تتمحور حولها الوحدات الأخرى التابعة . [انظر : نظرية التبعية في التحليل النحوي – سعيد بحيري – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٨٨ – الصفحة ١٠]

(2) Language, Leonard bloomfield , Henery Holt And company,INC, NEW YORK,1933,p160-161

المنهجيّ الدَّقيق بالصُّورة الَّتي يُمكن أنْ تخضع لها المستويات اللُّغويَّة الأخرى، أدَّى إلى استبعاد الدَّلالة استبعادًا تامًّا من الأنظمة البنيويَّة للتَّحليل اللُّغويّ على اختلاف مشاربها واتجاهاتها الَّتي انسجمت جميعُها مع هذا الإطار البنيويّ العام .

الإشكاليّات المنهجيّة وتواري الدّلالة

في إطار مفهوم العلامة اللُّغويَّة (***Signe linguistique***) أحدث (دو سوسير) تمييزًا بين ما أسماه (الدَّالّ ***Signifiant***) الذي تُمثِّله المتوالية الصَّوتيَّة المكوِّنة للكلمة، أو الصُّورة السَّمعيَّة لها ، في مقابل المدلول (***Signifié***) وهو المفهوم الذي يدلُّ عليه التَّوظيفُ الرابط بين هذه الأحرف ، أو التَّصوُّر الذِّهنيُّ لهذا الدَّالِّ وما يرتبط به من سمات معنويَّة . وتتداعى الدَّلالة أو المعنى (***signification***) باتِّحاد هاتين الصُّورتين فيما يشبه الوجهين لورقة واحدة وَفق تشبيه (**دو سوسير**) الشهير[1].

---

(١) نلحظ هنا الاستبعاد التامَّ للمدلول عليه أو المرجع (*Référent*) وهو الشيء الموجود في العالم الخارجي بوصفه عنصرًا غيرَ لغويٍّ ، ومن ثمَّ فهو خارج إطار الدَّرس اللِّسانيّ في نظر (دو سوسير) ، وهو ما ترتَّب عليه الانتقاد الواضح من جانب (بنفنيست *Benveniste*) لمبدأ اعتباطية العلامة اللغوية الذي طرحه (دو سوسير)، إذ يرى (بنفنيست) أنَّ التَّصوُّر الذي طرحه (دو سوسير) حول الرابط بين الدال والمدلول في إطار العلامة اللغوية رابط اعتباطي ؛ لأنَّ المدلول ليس له ارتباط بالواقع [المدلول عليه]، وهنا يتساءل (بنفنيست) عن سبب إقحام (دو سوسير) للمدلول عليه على الرغم من أنَّه استبعده تماما في تعريفه للعلامة اللغوية وهو ما أضفى تناقضًا وغموضًا على تعريف (دو سوسير) للعلامة ، ومن ثمَّ يرى (بنفنيست) أنَّ الرابط بين الدَّالِّ والمدلول ليس اعتباطيًّا بل هو رابط ضروري إلزاميٌّ ، فالعلامة اللغوية بنية متكاملة يتحد فيها الدال والمدلول؛ فكلُّ كلمة تدل على معنى وتستحضر صورته الذهنية ، كلفظ (شجرة) مثلًا الذي يستدعي في الذهن صورة هذا الشكل المطبوع، إذ كلما كرَّرنا الكلمة نفسها تظهر تلك الصورة ذاتها، إذ صار اللفظ مطابقًا لذات الشيء في العالم الخارجي ومعبرًا عن طبيعته وهويته بصورة طبيعية وليست اعتباطية، بل إنَّ الذهن عندما يستقبل كلمة غامضة أو مجهولة المرجع=

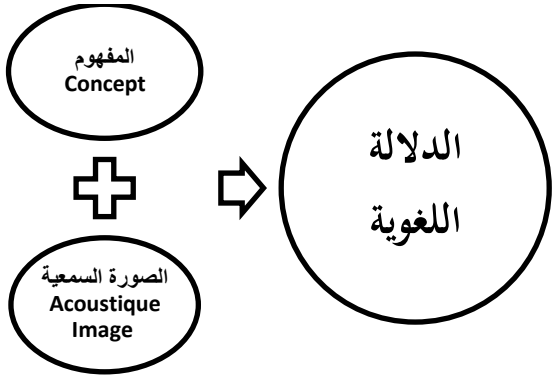

فلو ذكرنا كلمة (بَحْرٌ = علامة لغويَّة) : فإنَّها تأتلف من مكوِّنين (الدَّالُّ) + (المدلول)

(**الدَّالُّ** = الصُّورة السَّمعيَّة) : وجود الأصوات [ب + حركة قصيرة + ح + ر + حركة الإعراب المتغيِّرة].

{ لكلِّ لغة دالٌّ خاصٌّ بها }

(**المدلول** = المفهوم / التَّصوُّر الذِّهنيُّ) : كل ما يدركه الذِّهن من معانٍ تتعلَّق بهذا التَّصوُّر (مياه – أمواج – أسماك – سفن – سباحة ... إلخ) .

{ المدلول ثابت في كلِّ اللغات} .

والعلامة اللُّغويَّة أو الكيان النَّاتج عن الجمع بين الدَّالِّ والمدلول هو كيان اعتباطيٌّ (***Arbitraire***) كما ذكر (**دو سوسير**)[1]، إذ لا يرتبط

=فإنَّه يستبعدها لغرابتها وعدم قدرته على تصورها ، فلو كانت العلاقة اعتباطيَّة لاستطاع كلُّ فرد أن يستحدث نظامًا لغويًّا يتفرَّد به ، لكنَّ الأمور لا تجري في الواقع وفق هذا النحو. [انظر : محاضرات في علم الدلالة – خليفة بوجادي – الجزائر – بيت الحكمة – الطبعة الأولى – ٢٠٠٩م – الصفحة ٩٠] . [وانظر كذلك : اللغة واللسان والعلامة عند دو سوسير في ضوء المصادر الأصول – مصطفى غلفان – لبنان – دار الكتاب الجديد – الطبعة الأولى – ٢٠١٧م – صفحة ٣٠٨ وما بعدها]

(١) انظر : علم اللغة العام ٨٦–٨٧ .

الدَّالُ بأيَّة علاقة منطقيَّة بالمدلول ، فيمكننا أن نعبر عن معنى (بحر) بأيَّة سلسلة صوتيَّة أخرى تكون دالَّة على هذا المدلول نفسه ، واختلاف اللُّغات في هذا الصدد يؤكِّد اعتباطيَّة هذه الدلالة .

وتتجلَّى هذه الاعتباطيَّة أيضًا في العلاقة بين الدَّالِ والمدلول عليه مع غياب أيَّة محاكاة بين الصُّورة الصوتيَّة والمدلول عليه في الإطار الخارجيِّ تدفعنا إلى أن نُطلق هذا الاسم على ذاك المسمَّى ، والدَّليل على ذلك البون الشَّاسع بين الألسن في إطلاقها الأسماء على الشيء الواحد ، وكذلك تظهر هذه الاعتباطيَّة في العلاقة بين المدلول والمدلول عليه إذ إنَّ الخصائص المدلوليَّة التي تشكِّل تصوُّر الأشياء في العالم الخارجيِّ ليست خصائص كليَّة يشترك فيها بنو البشر جميعُهم ، وإنَّما تختلف باختلاف التَّصوُّرات الثَّقافيَّة عن الأشياء في عالمها الخارجيِّ(١).

ومن المبادي الَّتي تحكم الدَّلالة أو العلامة اللُّغويَّةَ عند (**دو سوسير**) مبدأُ (**خطيَّة الدَّالِ**) ، إذ لَمَّا كان الدَّالُ معتمدًا على السَّمع فإنَّه"يظهر إلى الوجود في حيِّزٍ زمنيٍّ فقط"(٢)، ويمثِّلُ هذه الفترة الزَّمنيَّة ، وتُقاس هذه الفترة من خلال بُعدٍ واحد فقط هو البعد الخطيُّ(٣)، الَّذي يُمكِّن من الإدراك المباشر لخصائصه المستمدَّة من الزَّمن ؛ فالدَّالُ (بَحْرٌ) وتسلسليَّة وَحداته الصَّوتيَّة المكوِّنة له [ب + حركة قصيرة + ح + ر + حركة الإعراب المتغيِّرة] الَّتي تسبق الباءُ فيها الحاءَ والرَّاءَ ، إذا أحدثنا تغييرًا في التَّتابع الزَّمنيِّ والخطِّيِّ لهذه المتواليَّة من خلال علاقة تبادليَّة موقعيَّة بين الباء والحاء بأن انزاح كلٌّ منهما إلى موضع الآخر؛ فالمحصِّلة الدلاليَّة مختلفة تمامًا من خلال كلمة أخرى ، وهي كلمة (حبر) ، فأدنى تغيير على مستوى التَّسلسل الزمنيِّ

(١) انظر : اللسانيات البنيوية ، منهجيات ، واتجاهات – مصطفى غلفان : ١٧٢–١٧٣ [لبنان – بيروت – دار الكتاب الجديد المتحدة – الطبعة الأولى – يونيو ٢٠١٣م] .
(٢) علم اللغة العام :٨٩ .
(٣) انظر : علم اللغة العام ٨٩ .

والخطيِّ ، أو ما يمكن وصفه بالسَّطريِّ أو الأفقيِّ ينجم عنه تغيير في دلالة هذه العلامة اللُّغويَّة ، وهو ما يترتب عليه أيضًا أنَّنا لا يمكننا التلفُّظ بسلسلتين لغويتين في آن واحد ، وعلى الرغم من بَدَهيَّة هذا الأمر وبساطته فإنَّه بالغ الأهميَّة في تمييز "دوالِّ النَّسق اللُّغويِّ عن دوالِّ النَّسق البصريِّ"(١) .

وفي إطار الحلقة اللُّغويَّة في (**كوبنهاجن**) التي ظلَّت تواصل الأبحاث اللِّسانيَّة من منطلقات بنيويَّة ، استطاعت بفضل جهود (**هيلمسليف** ***L.T. Hjelmslev 1899- 1965***) معالجة المبادئ والتَّصوُّرات الجوهريَّة الَّتي طرحتها نظريَّة (**دو سوسير**) البنيويَّة وفق رؤية أكثر وضوحًا ومن خلال تأكيد قطعيٍّ على"استقلال التَّحليل اللُّغويِّ عن المجالات الأخرى غير اللُّغويَّة"(٢)، واستبعاد الطروحات التي لا تصمد طويلًا أمام النَّظرة الفاحصة حول طبيعة العلامة اللُّغويَّة وأوجهها ومكوناتها الداخليَّة ،"ومن أجل ذلك أطلق كثير من الباحثين على نظريات هيلمسليف اسم السُّوسيرية المحدَّثة "(٣)، فالطَّرح الأساس الَّذي قدَّمه (**دو سوسير**) من أنَّ اللِّسان نظام من العلامات ذات كيان مركَّب من انطباق الدَّالِّ على المدلول قد خضع لرؤية جديدة أطلقها (**هيلمسليف**) تستبدل مصطلحي الدَّالِّ والمدلول بمصطلحين أعمق تجريدًا هما مصطلحا (**التعبير *Expression***) ،و (**المضمون *Content***) ويعني بالتعبير جملة الأصوات الَّتي تُجسِّد المحتوى الدَّلاليَّ المراد التَّعبير عنه ، في مقابل المضمون الَّذي يُمثِّل المحتوى الدَّلاليَّ أو التَّصوُّر الَّذي يُرادُ إيصاله بواسطة التَّعبير ، وفي الإطار ذاته فإنَّ هذين المصطلحين ليسا على هذه الدرجة من البساطة التي يوحي بها تصوُّر (**دو**

---

(١) اللسانيات البنيوية ، منهجيات ، واتجاهات – مصطفى غلفان : ١٧٨

(٢) المدارس اللسانيَّة المعاصرة – نعمان بوقرة : ١١٩ . [القاهرة – مكتبة الآداب – الطبعة الأولى – ٢٠٠٤ م]

(٣) اتجاهات البحث اللساني – ميلكا إفيتش – ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح ، ووفاء كامل فايد : ٣٢٧

سوسير) للدَّالِّ والمدلول إذ ينضوي المصطلحان بدورهما على مكونين فرعيين هما (المادَّة ***Substance***)، و (الشَّكل ***Form***) [(١)]، وهو ما يمكن يمكن توضيحه من خلال المخطَّط التَّالي :

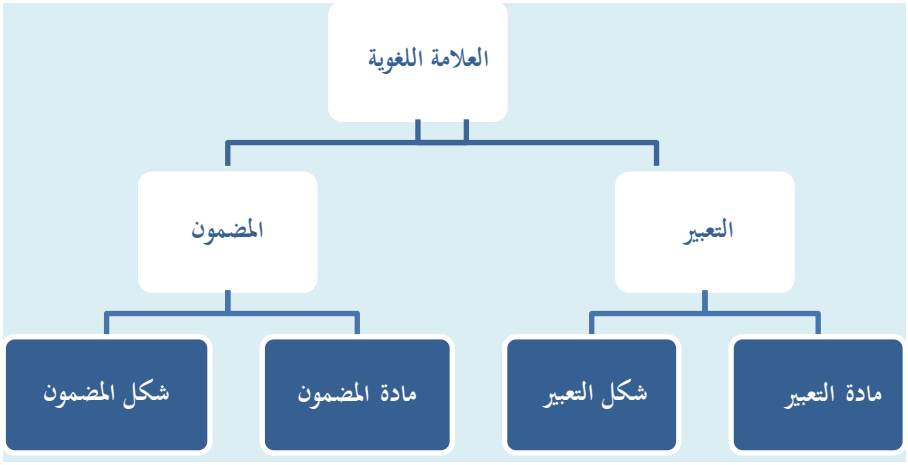

وما يعنيه (**هيلمسليڤ**) بـ (**مادة التعبير** ***The Substance of Expression***) هو ذلك الجانب الصَّوتيُّ الفيزيائي المتاح لجميع الناطقين بعيدًا عن أيَّة سمات مرتبطة بالنِّظام الصَّوتيِّ المميِّز للسان مُعيَّن ؛ فيستطيع بعض النَّاطقين بالفرنسيَّة – على سبيل المثال – أن ينطقوا أصواتًا مثل الحاء والخاء والعين والقاف دون أن تكون هذه الأصوات ضمن النِّظام الصَّوتي الَّذي ينتمون إليه ، فالمادة التَّعبيريَّة هنا أشبه "بنقطة الحبر أثناء الكتابة"[(٢)]، وهذه المادة التَّعبيريَّة لا قيمة لها إلا بوجود (**شكل التعبير** ***The Form of***

(١) انظر : العلامة ، تحليل المفهوم وتاريخه – أمبرتو إيكو : ١٣٦ وما بعدها .[ترجمة سعيد بنكراد – المغرب – الدار البيضاء – المركز الثقافي العربي – الطبعة الثانية – ٢٠١٠م] ، وانظر أيضا : السيميائية وفلسفة اللغة – أمبرتو إيكو :١٤٠ وما بعدها [ترجمة أحمد الصمعي – لبنان – بيروت – المنظمة العربية للترجمة – الطبعة الأولى ٢٠٠٥م]

(٢) المدارس اللسانيَّة المعاصرة – نعمان بوقرة : ١١٩

Expression) ويقصد به الشَّكل الَّذي تأخذه مادة التَّعبير في علاقتها بوحدات النِّظام الأخرى فتجسِّدها وتظهرها في شكل معيَّن ، أو الشَّكل التَّنظيميّ للمادة التَّعبيريَّة الأوليَّة دون أدنى مضمون دلاليٍّ يقابل ذلك .

أمَّا (**مادة المضمون** ***The Substance of the Content***) في إطار العلامة اللُّغويَّة عند (**هيلمسليـڤ**) فهي المنتوج التَّصَوُّرِيُّ للواقع الخارجيِّ الموجود عند جميع البشر وفق تنوُّع ألسنتهم وثقافاتهم .

ويُعبِّر (**شكل المضمون** ***The Form of the Content***) عن التَّصوُّر النَّفسيِّ أو طريقة الاستعمال المجتمعيِّ الَّذي يتمُّ في إطاره تشكيل مادة المضمون واستقبالها وتصوُّرها ، وهو ما يعني اختلافها باختلاف الألسن والمجتمعات وثقافاتها(١).

ومن ثَمَّ فالدَّلالة المتحصِّلة تستند إلى التآزر الحادث بين التعبير والمضمون معًا ، إذ التعبير دون مضمون هو لغوٌ لا قيمة له ، والمضمون دون تعبير هو سديم لا يمكن إدراكه ومعرفته ، فالتَّعبير هو الإطار الَّذي يجمع شتات المضمون الدَّلاليّ ، ويمنحه الصُّورة اللُّغويَّة الماديَّة ، لكن في المحصِّلة النِّهائيَّة تبقى العلاقة بين التَّعبير والمضمون في جميع مستوياتهما علاقة اعتباطية ، ولم يختلف ما جاء به (**هيلمسليـڤ**) عمَّا جاء به (**دو سوسـير**) في هذا الصَّدد(٢) ، غير أنَّ دعوة (**هيلمسليـڤ**) ومدرسته

---

(١) انظر : اللسانيات البنيوية ، منهجيات ، واتجاهات – مصطفى غلفان : ٢٨٥ وما بعدها ، وانظر : اتجاهات البحث اللساني – ميلكا إفيتش – صفحة : ٣٢٧– ٣٢٨ ، وانظر كذلك : المدارس اللسانيَّة المعاصرة – نعمان بوقرة : صفحة ١١٩–١٢٠، وانظر كذلك: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي – بريجيته بارتشت – ترجمة سعيد بحيري – القاهرة – مؤسسة المختار – الطبعة الأولى ٢٠٠٤ – الصفحة ١٨٤ وما بعدها]

(٢) انظر : اللسانيات البنيوية ، منهجيات ، واتجاهات – مصطفى غلفان : ٢٨٩

الجلوسيماتيَّة إلى الاهتمام بالمضمون أو الدَّلالة قد تجاوزت لسانيَّات (**دو سوسير**) وغيره من المدارس البنيويَّة الأوروبيَّة إذ أسَّست الجلوسيماتيَّة من أجل تجاوز الاهتمام المنصب من جانب البنيويين على التَّعبير أو التَّركيب دون المضمون ، وأن تصبح للمضمون مكانته وقيمته بالتَّساوق مع التَّعبير .

وهي دعوة لم تلق الاستجابة الكافيَّة في تلك الحقبة ، بل على العكس من ذلك ناظرتها على صعيد البنيويَّة الأمريكيَّة رؤية متشدِّدة تتساوق مع الموقف العام للبنيويَّة تجاه الدَّلالَة ، وتؤمن بأنَّ دراسة المعنى هي أضعف نقطة في الدَّرس اللُّغوي ، بل أصدرت حكمًا بأنَّ"دراسة المعنى المعجميّ ، وبالتَّالي السيمانتيك تُعدُّ خارج المجال الواقعيّ لعلم اللغة"(١)، ففي إطار سعيه إلى التَّركيز على الطَّابع العِلميّ للدِّراسات الوَصفيَّة ، استبعد (**بلومفيلد)** كلَّ تحليل بنيويّ يقوم على الاستبطان والتَّصوُّرات الذِّهنيَّة المرتبطة بوعي الإنسان وإدراكه الداخليّ ، والَّتي لا يمكن ملاحظتها وقياسها ، ولأنَّ المستوى الدَّلاليَّ ينماز بتعقُّده بالصُّورة الَّتي لا يمكن معها استكشاف آلياته وقوانينه وفق قواعد حاكمة مطَّردة ، ومن ثمَّ أقصى (**بلومفيلد)** كلَّ إحالة إلى المعنى في التَّحليل اللِّسانيّ .

ولعلَّ تَبَنِّي (**بلومفيلد**) أفكارَ (**واطسون** *Watson 1878– 1958*) السُّلوكيَّة التي تُعِدُّ اللُّغةَ جانبًا من الجوانب السلوكيَّة الَّتي يسميها السُّلوكيُّون : السُّلوك النُّطقي *Verbal behaviour* ، أو السُّلوك اللُّغويَّ *Languege behaviour*(٢) الَّذي يمكن وصفه في إطار كونه نوعًا من الاستجابات *Responses* لمثيرات *Stimuli* محفِّزة تستدعي هذه الاستجابات، وهنا يُلحُّ بلومفيلد على فكرة المقام ، إذ إنَّ عمليات التَّواصل لا يمكن فهمها إلا في إطار فهم دقيق للمقامات والمواقف التَّخاطبيَّة الَّتي يستعمل

(١) علم الدلالة – أحمد مختار عمر : ٢٤.
(٢) انظر : المرجع السابق : ٦٠

فيها المتكلِّمُ اللُّغةَ ، مع تأكيده على ضرورة استبعاد كل ما ينتمي إلى مجالات أخرى غير لغويَّة ، ومن هنا تقتضي دراسة اللِّسان البشريّ دراسةَ توالي المثيرات والاستجابات الَّتي ترتبط بدوافع سلوكيَّة لدى المتلقِّي ، وتنحصر دلالة اللفظ في المقام الَّذي يوجِّه فيه المتكلِّم هذا اللَّفظ في علاقته باستجابة المتلقي، ومن هنا فمقام المتكلم واستجابة المتلقي مترابطتان وفق المخطَّط الآتي:

مقام المتكلم ⟵ الملفوظ ⟵ استجابة السامع

وعلى الرغم من تلك الأهميَّة الَّتي أولاها **بلومفيلد** للمقام التَّواصليّ الَّذي تتحدَّد من خلاله الدَّلالَة ، فإنَّنا لا نستطيع دراسته بمنهجيَّة موضوعيَّة من أجل التَّوصُّل إلى معطيات علميَّة دقيقة لكون هذا المقام يشتمل على وقائعَ ماديَّةٍ وموجودات خارجيَّة ، تُوجِب على الدَّارس الإحاطة الشَّاملة بكل ما يحيط بواقع المتكلِّم حتَّى يتمكَّن من التَّحديد الدَّقيق للدَّلالات في إطار علميّ ، وإنْ كنَّا نستطيع الوصول إلى تحديد دلالات بعض المحسوسات المادِّيَّة الطبيعيَّة ، فمن الصعب تحديد مدلولات المفاهيم المجرَّدة ، ومع الافتراض جدليًّا بإمكانيَّة تحَقُّق ذلك فإنَّه يستحيل تحقيق ذلك فيما يتعلَّق بدلالات بعض الألفاظ ، نحو : فكر ، شعور ، حب ، كراهية ، وغيرها من الألفاظ التي يصعب تصنيف مقاماتها بدقَّة لأنَّها " لا تدلُّ على أشياء أو خصائص قابلة للملاحظة "[(١)]، ومن ثَّم تظلُّ دراسة المدلولات نقطة ضعف في البحث الدَّلاليّ لارتباطها بأبعاد نفسيَّة وماديَّة متشابكة ومعقَّدة ، فضلًا عمَّا قد يرتبط بها من انزياحات لغويَّة ترتبط بالمعاني المجازيَّة والاستعاريَّة وقضايا الترادف والمشترك اللفظيّ[(٢)] ، وكل هذه الإشكاليَّات في الدِّراسة العلميَّة المنهجيَّة للغة جعلت **بلومفيلد** يتوفَّر على دراسة الشَّكل ، وينصرف عن الاهتمام بقضايا الدَّلالَة لما يكتنفها من صعوبات ، لكن يجب أنْ ننبِّه هنا إلى" أنَّ إبعاد المعنى

(١) علم الدلالة – أحمد مختار عمر : ٦٢

(٢) انظر : العلامة ، تحليل المفهوم وتاريخه – أمبرتو إيكو : ٦٩

عند بلومفيلد هو إبعاد منهجيٌ فقط ، إنَّه يرفض المعنى كموضوع للوصف اللِّسانيِّ ، وليس باعتباره جزءًا أساسيًا من السُّلوك اللُّغويِّ."(١)

وخلاصة الأمر أنَّ البنيويَّة على الرغم من أنَّها قد أوجدت قطيعة مع الدراسات التاريخيَّة ، وأحدثت زخمًا علميًّا جديدًا انتقل بالدَّرس اللِّسانيِّ إلى مرحلة منهجيَّة علميَّة تُدرَسُ من خلالها اللُّغة لذاتها ولأجل ذاتها ، فإنَّ ارتكانها إلى الطَّابع الوصفيِّ الشَّكليِّ ، في ظلِّ قناعات تؤمن بأنَّ الدَّلالَة لا يمكن إخضاعها للدَّرس الوصفيِّ المنهجيِّ الدَّقيق بالصُّورة الَّتي يُمكن أنْ تخضع لها المستويات اللُّغويَّة الأخرى ، ترتَّب عليه استبعاد الدَّلالة استبعادًا تامًّا من الأنظمة البنيويَّة للتَّحليل اللُّغويِّ وكان ذلك أشبه بمَن" يصف طريقة صنع السفن من غير إشارة إلى البحر"(٢).

(١) اللسانيات البنيوية ، منهجيات ، واتجاهات – مصطفى غلفان : ٣٨٧

(٢) أضواء على الدراسات اللغويَّة المعاصرة – نايف خرما : ٢٤٠ [الكويت – عالم المعرفة – سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – يناير ١٩٧٨م] .

المبحث الثَّاني
التَّركيبُ والدَّلَالةُ
فِي إطارِ النَّظريَّة التَّوليديَّة التَّحويليَّة

(*Transformational Generative Theory*)

منذ عام (١٩٥٧) تعيش الدِّراسات اللُّغويَّة على وَقعِ النَّظريَّة التَّوليديَّة التَّحويليَّة الَّتي أحدثت طفرة نوعيَّةً، وشكَّلت منعطفًا غير مسبوق في الدَّرس اللِّسانيّ ، من خلال منطلقات موضوعيَّة ومنهجيَّة تجاوزت القصور الحادث في اللِّسانيَّات البنيويَّة ، وأطَّرت أفكار (**ديكارت** *Descartes – 1596–1650*) ، ونحاة (**بور رويال** *Port Royal*) ، والمفكِّر الألماني **(وليام فون همبولدت** *Wilhelm von Humboldt – 1767–1835*) الأسس الإبستمولوجيَّة لهذه النَّظرية ، إذ وجد (**تشومسكي *Chomsky***) في الفلسفة العقلانيَّة مُرتكزًا لتصوُّره حول طبيعة اللُّغة البشريَّة(١).

وانتقد (**تشومسكي**) التَّصَوُّر الوصفيَّ البنيويَّ وإجراءاته التَّصنيفيَّة الَّتي تركِّز على الملاحظة اللُّغويَّة المضبوطة للسان معيَّن وجمع المعطيات وترتيبها وتصنيفها واستخلاص القوانين الحاكمة من تلك المعطيات ، مُؤسِّسًا لمرحلة جديدة تتجاوز مرحلة الوصف الاستقرائيّ البنيويّ إلى مرحلةٍ تعتمد التَّفسير والاستنباط منهجًا (٢)، وتنطلق منه إلى فرضيَّات تفسيريَّة تُحيل إلى الملكة اللُّغويَّة" ثُمَّ التَّكَهُّن بظواهرَ جديدةٍ عن طريق صياغة قواعد عامَّة طبقًا

---

(١) انظر : اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي ، مفاهيم وأمثلة – مصطفى غلفان : الصفحة ٥ وما بعدها [بمشاركة د.امحمد الملاخ ، و د. حافظ إسماعيلي علوي – عالم الكتب الحديث – الأردن – إربد – الطبعة الأولى ٢٠١٠م]

(٢) انظر : الألسنية التوليدية والتحويلية ، وقواعد اللغة العربية – ميشال زكريا : ٩٦ [المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – لبنان – بيروت – الطبعة الثانية – ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م]

لتراكيب فرضيَّة كما هي الحال بالنسبة للكتلة والإلكترون"[1]، وبانتقال تشومسكي من الوصف إلى التَّفسير تَغيَّر موضوع الدَّرس اللِّسانيّ من البحث في اللِّسان الطَّبيعيّ إلى البحث في القدرة على إنتاج اللغة وتأويلها عند مستعمل اللُّغة الطَّبيعيَّة (إنسان متكلم / مستمع) ، والكشف عن المسارات الذِّهنية الَّتي تقطعها اللُّغة أثناء إنتاجها وتأويلها في إطار المبادئ الأساسيَّة الَّتي بنى عليها صرح نظريته كثنائيَّة (القدرة *Competence*)، و (الأداء *Performance*) ، وثنائيَّة (البنية العميقة *Deep Structure*)، و(البنية السَّطحيَّة *Surface Structure*) ، وتوسَّل في ذلك ببناء نماذج صوريَّة يفترض محاكاتها لآليات إنتاج اللغة وتأويلها في الذِّهن البشريّ، وكان لهذه الفرضيَّات التَّفسيريَّة الدور الرئيس في التَّرسيخ لمرتكزات ثابتة، ومبادئ قويَّة دفعت بنظريته إلى إحداث ثورة كبرى في الدَّرس اللِّسانيّ في النِّصف الثَّاني من القرن العشرين .

مَرْحَلَةُ النَّوَاةِ وسِيَادَةٌ مُطْلَقَةٌ لِمَنْطِقِ التَّرْكِيبِ :

في كتابه (**البنى النَّحويَّة** *Syntactic Structures – 1957*) أرسى (**تشومسكي**) الدعائم الأولى لنظريته التَّوليديَّة التَّحويليَّة في إطار انشغال تامّ بالتَّركيب وأبعاده البنيويَّة ، رغبةً في الوصول إلى قواعدَ عامَّةٍ تنتظم بنية التَّراكيب في اللُّغات كافَّةً ، ومن ثَمَّ يمكننا من خلال هذه القواعد توليد عدد لا متناهٍ من الجمل والتَّراكيب النَّحويَّة، وهذه القواعد التَّوليديَّة هي "جهاز يحتوي على أبجديَّة رموز هي بمثابة معجمه ، فمستخدم اللغة يستطيع

(١) البنى النحوية – نوم جومسكي: ٦٩ [ترجمة يوئيل يوسف عزيز – مراجعة مجيد الماشطة – وزارة الثقافة والإعلام – دار الشؤون الثقافية العامة – العراق – بغداد – الطبعة الأولى – ١٩٨٧ م]

أن يفهم جملًا وتعبيراتٍ لم يسبق له أنْ سمعها"[١]، ومن ثَمَّ انصبَّ الاهتمام في هذه المرحلة على البناء التَّركيبيّ للجملة دون أي اهتمام بقضايا تتعلق بقضايا الدَّلالَة والمعنى المتناثرة ، من خلال إيمانه بأنَّ القضايا التَّركيبيَّة تنتمي إلى مستوى مستقلٍّ عن المستويات الصَّوتيَّة والصَّرفيَّة والدَّلاليَّة ، ومن ثَمَّ لا ينبغي" الخلط بين النَّحو والمعنى"[٢]، انسجامًا مع النَّهج السَّائد في الدَّرس البنيويّ الوصفيّ الأمريكيّ الذي يُقصي قضايا الدَّلالة بدءًا من بلومفيلد الَّذي أبعد دراسة المدلولات منهجيًّا – كما ذكرنا منذ قليل – على أن يتم التأويل الدَّلالي بوسطة المثير والاستجابة من خلال المقام التواصلي ، واستمرَّ النَّهج مع تلميذ بلومفيلد وأستاذ تشومسكي (**زيليج هاريس** *Zellig Harris 1909–1993*) الَّذي كان"يرفض كلَّ إحالة على المعنى في التَّحليل اللُّغوي نظرًا إلى صعوبة التَّحقُّق العلميّ من ماهيَّة الحقائق الدَّلاليَّة للوحدات اللُّغَويَّة"[٣].

ومن خلال أبسط النَّماذج الصُّوريَّة الَّتي طرحها **تشومسكي** حول آليَّات عمل هذه القواعد التَّوليديَّة المحدودة الَّتي تعمل في إطار عدد محدود أيضا من المفردات المعجميَّة ، نستطيع من خلالها توليدَ عددٍ غير محدود من التَّراكيب أو الجمل ، ويرتكز هذا النُّموذج إلى" مبدأ يقول بأنَّ الجمل تُولَّد عن طريق سلسلة من الاختيارات (*series of choices*) تبدأ من اليسار إلى

(١) المدارس اللسانيَّة المعاصرة – نعمان بوقرة : ١٤٦، [وانظر كذلك : الألسنية التوليدية والتحويلية ، وقواعد اللغة العربية – ميشال زكريا – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – لبنان – بيروت – الطبعة الثانية – ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م – الصفحة ٩٢]

(٢) المدارس اللسانيَّة المعاصرة – نعمان بوقرة :١٤٤

(٣) اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي ، مفاهيم وأمثلة – مصطفى غلفان : ٣٣

اليمين ، أي عند الانتهاء من اختيار العنصر الأول فإنَّ كل اختيار يأتي عقب ذلك يرتبط بالعناصر الَّتي سبق اختيارُها مباشرة"[١]

ولتوضيح ذلك من خلال الجملة التي أوردها (*this man has brought some bread* = **هذا الرجل اشترى بعض الخبز**) وهي جملة تتَّسم بالنَّحويَّة ، نجد أنَّ كلمة (*this* = **هذا**) الَّتي تقع في صدر الجملة قد اختيرت من بين قائمة من الكلمات الصَّالحة للتَّموضع في الصَّدارة ، وكذلك كلمة (*man* = **الرجل**) تم اختيارها من بين مجموعة الكلمات الَّتي يمكن أن تقع بعد كلمة (*this* = **هذا**) ، وهكذا في باقي الكلمات ، فإذا استبدلنا كلمة (*this* = **هذا**) باختيار آخر في صدر الجملة ، مثل (*these* / *those* = **هؤلاء** / **أولئك**) فإنَّ الاختيارات التَّالية سوف تختلف تبعًا لاختيار الصَّدارة ، إذًا لا بدَّ أن نختار (*men* = الرجال) لتحتلَّ الموضع الثَّاني في الجملة بدلًا من (*man* = **الرجل**) ، ويترتَّب عليه تغيير فعل الملكيَّة المساعد (*has*) إلى (*have*) ، ثُمَّ تتولَّد الاختيارات التَّالية وفق ما يناسب الاختيارات السَّابقة عليها وهكذا .[٢]

كما قدَّم في هذا الكتاب أيضًا نموذجًا صُوريًّا رياضيًّا لبنيَّة نحويَّة آليَّة لتحليل الجمل والتَّراكيب ، محافظًا على خصائص نموذج المركَّبات أو نموذج المكوِّنات التَّركيبيَّة المستند إلى تحليل المكوِّنات المباشرة الَّذي قدَّمته البنيويَّة التَّوزيعيَّة الأمريكيَّة في كثير من الأطر النَّظريَّة والآليَّات الإجرائيَّة ، مع محاولات جادَّة لتجاوز قصور هذا النُّموذج من خلال دمج ما أسماه تشومسكي القواعد التَّحويليَّة في تحليل الجملة أو البنى التَّركيبيَّة ، كما أبقى على ما يعرف في اللِّسانيَّات البنيويَّة الوصفيَّة بقواعد إعادة الكتابة الَّتي كانت تقتصر على وصف الجمل في إطار متن لغويٍّ قائمٍ ومحدَّدٍ بيد أنَّه مع دمج نموذجه

(١) نظرية تشومسكي اللغوية – جون ليونز : ١٠٣ [ترجمة حلمي خليل – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – الطبعة الأولى – ١٩٨٥]

(٢) انظر : المرجع السابق : ١٠٣ – ١٠٤

التَّحويلي في هذا الإطار أصبح الهدف من قواعد إعادة الكتابة وصف جميع الجمل والبنى التَّركيبيَّة دون تحديد للمتن اللُّغويّ ، ومن خلال القدرة اللُّغويَّة الكامنة الَّتي يختزنها حدس المتكلم(١) ، وهو ما جعل هذه القواعد أكثر عموميَّة وشمولًا ، ومنحها القدرة على تحليل عدد لا مُتَنَاهٍ من الجمل والتَّراكيب .

والتَّحوُّلات الَّتي يقصدها (**تشومسكي**) هي التَّحوُّلات الَّتي تطرأ على الجملة الواحدة أو التَّركيب الواحد من أجل ربط البنية العميقة *Deep Structure* للجملة في ترتيبها البنيوي ، ببنيتها السَّطحيَّة *Surface Structure* ، وفي هذا الكتاب عرض (**تشومسكي**) ثلاثة أشكال لتركيب البنى النَّحويَّة ، وفي نهاية كلِّ شكلٍ منها يُظهر نقاط الضعف الَّتي تحمله على الانتقال إلى الشَّكل التَّالي ، بدأها بالنُّموذج الصُّوريّ الذي يُنسب إلى عالم الرِّياضيِّات الرُّوسيِّ (**أندريه ماركوف** *Andrey Markov 1856- 1922*) ، أو ما يعرف بنُموذج (الحالات المنتهية = *Finite state*) الَّذي يرتكن إلى معطيات رياضيَّة ينظر من خلالها إلى البنيات اللُّغويَّة نظرة آليَّة أو من خلال" ما يُسمَّى بالآليَّة المحدودة الحالات"(٢)، إذ الجملة أو التَّركيب وَفق هذا الشَّكل الصُّوريّ أشبه بآلة تمرُّ من خلالها سلسلة محدودة من الحالات ، وهذه الآلة" تحتوي على حالة أوليَّة ، وعلى حالة نهائيَّة"(٣)، وللانتقال من الحالة الأوَّليَّة إلى الحالة النهائيَّة تمر هذه الآلة عبر سلسلة من الحالات الَّتي نتحصَّل في كلِّ حالة منها على رمز (كلمة) واحد فقط ، إذ "تُرسل الآلة في كل طور أو نقلة *Transition* رمزًا واحدًا لا أكثر ، وتطابق كل نقلة من حالة إلى أخرى موقعًا ما في الجملة"(٤)، والآلة التي تتوالد من

(١) انظر : الألسنية التوليدية والتحويلية ، وقواعد اللغة العربية – ميشال زكريا : ٩٧

(٢) الألسنية التوليدية والتحويلية ، وقواعد اللغة العربية – ميشال زكريا : ١٢٧

(٣) المرجع السابق : ١٢٧

(٤) اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي : مفاهيم وأمثلة – مصطفى غلفان : ٥٤

خلالها الجمل ليست لها ذاكرة لغويَّة ، ومن ثَمَّ تتوالد الجمل التَّالية دون علاقة بغيرها من الجمل ، وهو ما نحاول توضيحه من خلال الأشكال التالية:

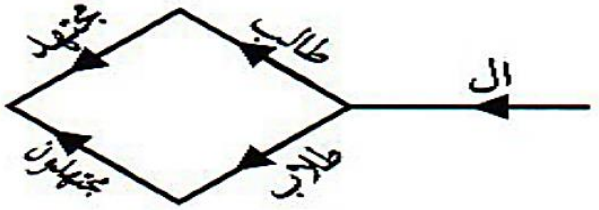

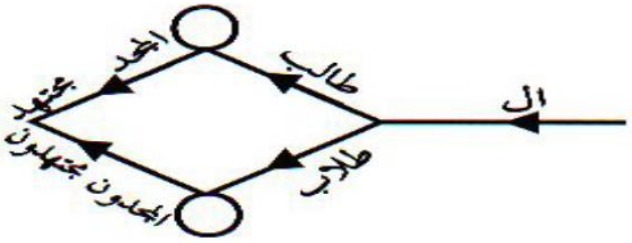

فاللُّغة وَفق هذا النُّموذج هي مجموعة من المتواليات (الجمل) ، وتُسمَّى اللُّغات الَّتي تنتجها المتواليات الرِّياضيَّة عبر هذا النُّموذج باللُّغات ذات الحالات المنتهية أو المحدودة[١]، وعلى الرُّغم من أنَّ نموذج ماركوف يستجيب للخصائص والسِّمات الَّتي تشترط في كل نموذج صُوريٍّ فإنَّه ينطوي على العديد من أوجه القصور[٢]التي جعلت تشومسكي ينتقل إلى تصوُّر صوريٍّ آخر ، وهو نموذج المركبات أو نموذج المكوِّنات التَّركيبيَّة ، أو ما يسميه البعض أيضا النموذج المركَّبيَّ .

(١) انظر : الألسنية التوليدية والتحويلية ، وقواعد اللغة العربية – ميشال زكريا : ١٢٨

(٢) انظر في تفصيل هذه العيوب وأوجه القصور في هذا النحو في كتاب الألسنية التوليدية والتحويلية ، وقواعد اللغة العربية – ميشال زكريا :١٢٩–١٣٠ ، و اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي : مفاهيم وأمثلة – مصطفى غلفان : ٥٥ .

والنُّموذج الثَّاني الَّذي طرحه تشومسكي في هذه المرحلة هو نموذج نحو المركَّبات أو نموذج نحو المكوِّنات التَّركيبيَّة ، هو نموذج صوريٌّ كان معروفًا وقتئذٍ ، ويرتكن إلى تحليل المكوِّنات المباشرة للجملة مع تطبيق كثير من المبادئ والإجراءات في اللِّسانيَّات البنيويَّة التَّوزيعيَّة الأمريكيَّة انطلاقًا من أفكار بلومفيلد الَّتي أعيدت صياغتها وهيكلتها من قِبل (**زيليج هاريس** *Zellig Harris – 1909–1992*) ، و(**رولان ويلز** *Rulon Wells – 1854–1941*) ، و(**تشارلز هوكيت** *Charles Hockett – 1916–2000*) مرتكزة إلى تطبيق بعض الإجراءات التَّوزيعيَّة الشَّائعة آنذاك ، الَّتي تعتمد على التَّصنيف *classification*، والتَّجزئة *segmentation* ، والتَّبديل *switching* ، والاستبدال أو التَّعويض *substitution* ، في إطار تصوُّر يرى أنَّ الجملة هي تآلف وتناسق بين وحدات صرفيَّة صغرى (مورفيمات *Morphemes*) ومكوِّنات . وانتظام الوحدات الصَّرفيَّة الصغرى مع المكوِّنات وفق هذا النُّموذج لا يتمُّ اعتباطيًّا ، وإنَّما في إطار مجموعة من الضَّوابط والقيود الكليَّة الَّتي تحكم هذا اللِّسانَ أو ذاك ، وتضبط عمليات التَّمدُّد أو التَّوسُّع الدَّاخلي لهذه المكونات في شكل بناء تراتبيٍّ تصاعديٍّ يتدرَّج من أصغر مكوِّن وهو (المورفيم) ، ثمَّ إلى الوحدات الفرعيَّة المركَّبة وصولًا إلى المكوِّن الأكبر وهو الجملة ، من خلال عمليات تمييز دقيقة تُحدِّد نقاط الفصل أو العزل الَّتي يمكن أن تُحلَّل فيها المكوِّنات المباشرة ، والغاية من هذا التَّحليل هي الكشف عن طبيعة هذه المكوِّنات أو الوحدات المقوليَّة ، وسماتها الصَّرفيَّة ، والوظائف التَّركيبيَّة الَّتي تميِّزها عن غيرها ومن ثمَّ تصنيفها في فئات نوعيَّة واستخلاص الاطِّرادات العامَّة الَّتي تحكم علاقاتها وليس الاستثناءات . ومن أجل الوصول إلى ذلك يتمَّ ابتكار نماذج صوريَّة تُجسِّد هذه العلاقات من خلال ترميزها وفق ما يعرف بقواعد إعادة الكتابة ، الَّتي قد تتَّخذ شكل ما يعرف بأقواس ويلز *Wells* ، أو صناديق (خانات) هوكيت *Hockett* ، أو

في شكل معادلات هاريس *Harris* الرِّياضيَّة ، وهنا يقترح تشومسكي تمثيلًا شجريًّا لتحليل هذه المكوِّنات نشير إليه فيه المخطط التَّالي :

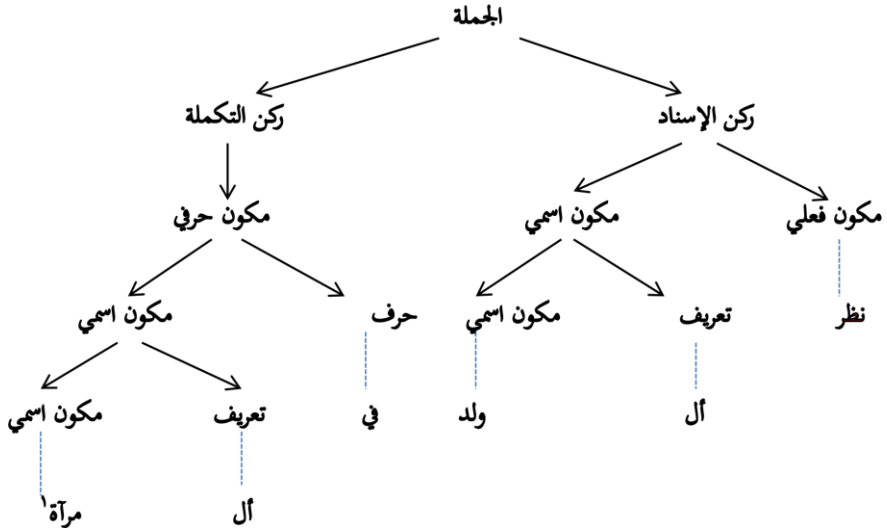

وكما نلاحظ، يعتمد تشومسكي على قواعد توليدية في إعادة الكتابة لتمثيل العلاقات بين المكونات :

الجملة	←	ركن الإسناد + ركن التكملة
ركن الإسناد	←	مكون فعلي + مكون اسمي
ركن التكملة	←	مكون حرفي
مكون فعلي	←	فعل + زمن
مكون اسمي	←	تعريف + اسم
مكون حرفي	←	حرف جر + مكون اسمي
فعل	←	نظر
اسم	←	ولد – مرآة
تعريف	←	أل
حرف جر	←	في

ومن خلال هذه الواجهة التِّقنية الصُّوريَّة يحاول تشومسكي أن يُقدِّم صياغة جديدة لنموذج المركَّبات يخطو بها خطوة في إطار الصِّياغة النَّظرية

لهذا النُّموذج من خلال مجموعة من الرموز الَّتي تُؤطِّر لمجموعات توزيعيَّة مختلفة (الاسم – الفعل – الحرف) من خلال تعيين الطبيعة الصَّرفيَّة لهذه المكوِّنات، وتُسند إليها وظائف نحويَّة محددة ، كالفاعلية أو المفعولية ... إلخ ، كما تكشف عن الوظائف الذي تقوم بها داخل الجملة من خلال مراتبَ أو عُقَدٍ تحكمها علاقات عموديَّة أو ما يُعرف بعلاقات (العلو أو الإشراف) ، وعلاقات أخرى أفقيَّة تُسمَّى بعلاقات (السَّبق) الَّتي تحكم الاختلافات التَّركيبيَّة الَّتي تطرأ على المستوى الأفقي كما في نحو : (ركل الولد الكرة) ،و(الولد ركل الكرة) وما يرتبط بها من انزياحات دَلاليَّة ، أو غايات أسلوبيَّة .

ولعلَّ القصور الواضح الَّذي يعتري هذا النُّموذج وعجزه عن تنظيم العلاقة بين التَّرتيب العلائقيّ البنيويّ العميق ، والتَّرتيب السَّطحِيّ داخل الجملة في ظواهرَ تركيبيَّةٍ مختلفةٍ ، وكذلك عدم قدرته على تحديد العلاقات بين الجمل الَّتي تشترك في معنى واحد لكنَّها تتباين في نسقها التَّركيبيّ كالجمل المبنية للمعلوم ، والجمل المبنية للمجهول ، أو الجمل المنفية والجمل المثبتة للغياب التَّعسفيّ للجانب الدَّلاليّ عن عمليات التَّحليل – قد دفع تشومسكي إلى طرح النُّموذج الثَّالث في هذه المرحلة ، وهو نموذجه التَّحويليُّ الَّذي يستند إلى تحليل البنية العميقة للجملة من خلال تطبيق القواعد في مستوياتها الصَّوتيَّة والصَّرفيَّة والتَّركيبيَّة ، ثُمَّ تطبيق القواعد التَّحويليَّة ***transformational Rules*** في تحليل البنية السطحيَّة ، مع التَّوسُّع في توظيف الرُّموز المستخدمة في نموذج المركبَّات ، وهذه القواعد التَّحويليَّة إمَّا أن تكون وجوبيَّة إجباريَّة (***Obligatory***) لتحقيق مفهوم الصحَّة النَّحويَّة كقواعد المطابقة ، وقواعد النوع في التذكير والتأنيث ، أو جوازيَّة اختياريَّة (***Optional***) كالنَّفي والاستفهام ، والتَّقديم والتَّأخير ، والبناء للمجهول وغير ذلك من أشكال الجمل الفرعيَّة ، ومن خلال هذا النُّموذج استطاع تشومسكي تجاوز بعض جوانب القصور في نموذج المركَّبات إذ إننا من خلال عمليَّات التَّحويل قد أصبح في إمكاننا التَّمييز بين الجملة النَّواة (***Kernal sentence***) أو

الجملــة الأســاس ، والجمــل المفرَّعــة منهــا التــي أســماها الجمــل المحوَّلــة (***Transformed sentences***) مـن خـلال هـذه الحزمـة مـن القواعـد التَّحويليَّة :

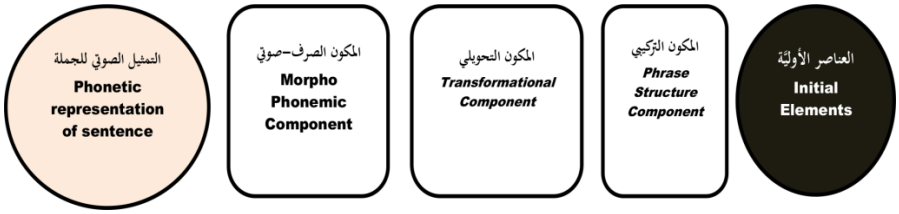

لكن على الرُّغم من إيجابيَّات هذا الطَّرح الَّذي قدَّمه تشومسكي في (البنى النحوية ١٩٥٧) ، وإسهاماته البارزة الَّتي أحدثت ثورة في الدَّرس اللِّسانيِّ من خلال تأكيده على الطَّابع الإبداعيِّ للُّغة (***creativity***) ، فإنَّ اهتمامه بالمستوى التَّركيبيِّ وقواعده الكامنة ، وتصنيفه للتَّركيب وقواعده في إطار كيان مستقلٍّ ، أدَّى به إلى تهميش الدَّلالَة واستبعادها تمامًا من عمليَّات التَّحليل ، فعلى الرُّغم من أنَّ التَّطبيق الفعليَّ لنموذجه التَّحويليِّ (١٩٥٧) الَّذي حصره في القواعد التَّركيبيَّة والتَّحويليَّة ، قد كشف بالفعل عن قدرة توليديَّة هائلة يمكن أن تُولِّد عددًا غير محدود من الجمل انطلاقًا من هذا العدد المحدود من القواعد فإنَّ استبعاد الدَّلالَة من عمليَّات التَّحليل قد كشف أيضًا عن إشكاليَّة أخرى لا ترتبط بالنَّحويَّة (*Grammaticality*) ، وإنَّما تتعلَّق بالمقبوليَّة (*Acceptability*) ؛ لأنَّ هذه القواعد قد تنتج جملًا نحويَّة مقبولة دَلاليًّا على نحو : (شرب الطِّفلُ اللَّبنَ) ، وأخرى لا تتَّسم بالمقبوليَّة الدَّلاليَّة ، نحو : (شرب الكوبُ اللَّبنَ) ، فالجملتان صحيحتان في مستواهما التَّركيبيِّ لكن ثانيتهما غير مقبولة على المستوى الدَّلاليِّ ، فغياب الجانب الدَّلاليَّ في هذا النُّموذج أثمر عن توليد هذا النَّمط من الجمل اللامقبولة .

وعلى الرُّغم من أنَّ مرتكزه الأساس هو التَّركيب واعتماده كُليًّا على" الدِّراسة الشَّكليَّة لبنية اللُّغة"(١)، دون أن يدخل أرضًا وعرة تعاني فيها الدِّراسة اللُّغويَّة من الإرباك حين يتمُّ الربط بين النَّحو والدَّلالَة(٢)، فإنَّه لم يستطع أن يُنكر العلاقة بين المكوِّنات والعناصر في البنية الشَّكليَّة ووظائفها الدَّلاليَّة فوجود"نقاط تطابق بين الأبنية والعناصر الَّتي تُكتشف في التَّحليل القواعديِّ الشَّكليِّ ، وبين وظائف دلاليَّة معينة "(٣)حقيقة لا يمكن إنكارها ، فهو – وإن كان يرفض الارتكاز على الرَّبط بين البنية التَّركيبيَّة والدَّلالة في التِّحليل النَّحويِّ ، فإنَّه لا ينفي العلاقة بين التَّركيب والدَّلالة ، لكنه يرى أنَّ الإطار التَّركيبي وما ينبثق عنه من قواعدَ يمكن "أن يكون قادرًا على دعم الوصف الدَّلاليِّ"(٤)، ومن ثَمَّ فإنَّه يرى أنَّها خطوة قد تبدو معقولة من أجل تطوير دقيق يفرز نظريَّة جديدة يتلاقى فيها التَّركيب مع الدَّلالَة .

نُضجٌ وامْتِدَادٌ يُمْسِكُ بِأَطْرَافِ الدَّلَالَةِ :

رأينا في المرحلة السابقة كيف كان **تشومسكي** متمثِّلًا لمقولة أستاذه **هاريس** بأنَّه من الممكن وصف النحو دون اللجوء للمعنى(٥)، وكان منشغلًا بمحاولة الإجابة عن السؤال الذي كان مطروحًا حينئذٍ :" كيف يستطيع المرء أن يضع نظام قواعد دون اللجوء إلى المعنى"(٦)، ومن هنا لم يكن قادرًا بعدُ على أن يتخلَّص من النَّزعة الشَّكليَّة التَّوزيعيَّة الَّتي انماز بها التَّحليل البنيوي الوصفيُّ في مساره الأمريكيِّ الَّذي يرتكز إلى المعالجة التَّركيبيَّة للِّسان بعيدًا

(١) البنى النحويَّة – نعوم تشومسكي : ١٣٧
(٢) انظر : المرجع السابق : ١٢٣
(٣) البنى النحوية – نعوم تشومسكي : ١٣١
(٤) البنى النحوية – نعوم تشومسكي : ١٣٢
(٥) انظر : اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي : مفاهيم وأمثلة – مصطفى غلفان الصفحة ٣٤
(٦) البنى النحوية – نعوم تشومسكي : ١٢٣

عن العلاقات المضطربة بين التَّركيب والدَّلالَة[١]. بيد أنَّه تحت وَقْعِ الانتقادات الشديدة وبأثر مباشر من الدِّراسات الَّتي أجراها (**كاتز** *Katz* و **فودور** *Fodor*) عام ١٩٦٣م[٢] ، والدِّراسة الَّتي أجراها (**كاتز** *Katz* **وبوستال** *Postal*) ١٩٦٤م[٣]، تمكَّن **تشومسكي** في العام (١٩٦٥) من خلال كتابه (**مظاهر النظريَّة التركيبيَّة** *Aspects of the Theory of syntax*) أن يُطوِّر نظريته التَّحويليَّة ، وأنْ يقدِّمها في صورة أكثر تماسكًا وشمولًا تحت مصطلح (**النموذج المعيار**) من خلال إضافة المحتوى الدَّلاليّ إلى هيكل النَّظريَّة التَّوليدية التَّحويليَّة .

والفرضيَّة الرَّئيسة في هذا النُّموذج تنطلق من أنَّ المكوِّن التَّركيبيَّ ينضوي على مستويين : بنية عميقة ، وأخرى سطحيَّة تربط بينهما حزمة من القواعد التَّوليديَّة التَّحويليَّة ، إذ يتولَّد التَّركيب في البنية العميقة من **(الأساس)** الَّذي يأتلف من مكوِّنين فرعيَّين يتضمَّن أولهما ما سبق أن ذكرناه فيما يعرف بقواعد إعادة الكتابة الَّتي تضبط العلائق الوظيفيَّة للعناصر والمكوِّنات على مستوى البنية العميقة ، بيد أنَّ هذا الأساس يتضمن مكونًا فرعيًّا آخر وهو ما يعرف بالمداخل المعجميَّة (*Lexical entries*) ، وحين الانتهاء من إدراج هذه الوحدات المعجميَّة تتشكَّل البنية العميقة للتَّركيب ، وتحمل هذه المداخل المعجميَّة مجموعة من السِّمات الخاصَّة الَّتي يُحدث غيابها أو حضورها التمييز بين المفردات ، على نحو : [اسم / ضمير / حي / إنسان / مجرد / محسوس / ذكر / معدود ...إلخ] ، فعلي سبيل المثال نجد أنَّ السَّمات المميزة لكلمة (طفل) يمكن تصنيفها على النحو التَّالي :

---

(١) انظر : اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي : مفاهيم وأمثلة – مصطفى غلفان الصفحة ٣٥

(٢) انظر : مبادئ اللسانيات – أحمد محمد قدور : ٣٢٢ [دار الفكر – دمشق – الطبعة الثالثة – ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م]

(٣) انظر : المرجع السابق : هامش الصفحة ٣٢٢

(طفل) ⟵ [+ اسم – ضمير + حي + إنسان + محسوس + عام + معدود + معرفة + مذكر + معرب + منفصل + – رفع]

ومن خلال تطبيق القواعد التَّحويليَّة كالحذف، والإضافة، والاختصار، والتَّوسُّع، والنَّقل، والإبدال، والتَّقديم، والتَّأخير، وغيرها من القواعد على هذا المكوِّن التَّركيبيّ تتحوَّل هذه البنية العميقة إلى بنية سطحيَّة، وعلى حين يشتقُّ المكوِّن الدَّلاليُّ من البنية العميقة "عبر قواعد الإسقاط الجامعة بين التَّمثيل الرُّكنيّ للتَّركيب ، والتَّمثيل الدَّلاليّ للمفردات"(١)، أو ما يُسمَّى بالقواعد التَّفسيريَّة ، يُشتق المكوِّنُ الصوتيُّ في إطار القواعد الصَّوتيَّة المتواضع عليها والَّتي تقوم بتفسير الرُّموز الصَّوتيَّة الفيزيائيَّة على مستوى البنية السَّطحيَّة(٢).

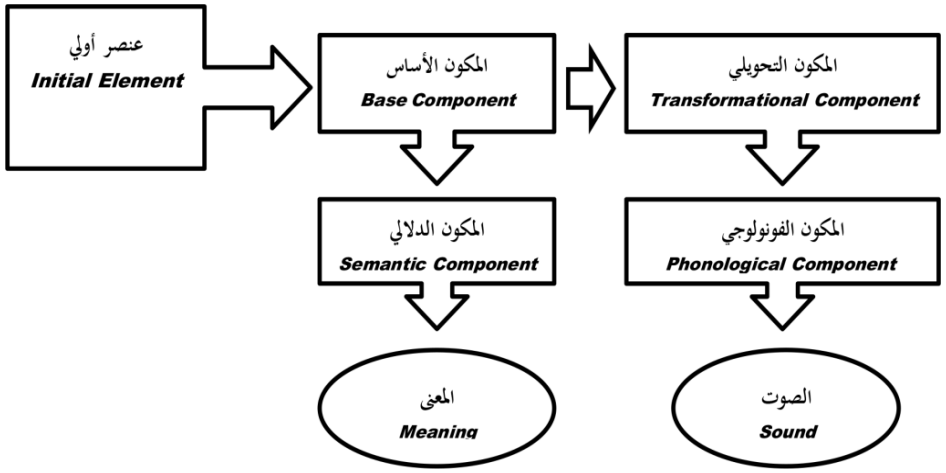

(١) مبادئ اللسانيات – أحمد محمد قدور : ٣٢٦ .

(٢) انظر : المدارس اللسانيَّة المعاصرة – نعمان بوقرة : ١٥٩–١٦٠ ، وانظر كذلك : مبادئ اللسانيات – أحمد محمد قدور : ٣٢٦ ، وانظر كذلك اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي : مفاهيم وأمثلة – مصطفى غلفان الصفحة ١٢٣ وما بعدها .

ومن المخطَّط السَّابق يتَّضح أنَّ **تشومسكي** ما يزال وفيًّا للتركيب ، من خلال احتفاظه بمركزيَّة التَّركيب في هذا النُّموذج أيضًا ، فكلُّ جملة في هذا النُّموذج تحتوي على بنيتين إحداهما عميقة والأخرى سطحيَّة ، ويتمُّ الرَّبط بينهما من خلال القواعد التَّحويليَّة ، كما أنَّ هذه الجملة تحتوي أيضًا على مكونين تأويليَّين أحدهما يرتبط بالبنية العميقة ، ونعني به المكوِّن الدَّلاليَّ ، والآخر يرتبط بالبنية السَّطحيَّة وهو المكوِّن الصَّوتيُّ أو الفونولوجيُّ ، على حين يبقى المكوِّن التَّركيبيُّ هو المكوِّن المولِّد مع احتوائه على مكونين فرعيَّين هما : (الأساس) ، و (القواعد التَّحويليَّة) ، والبنية العميقة المولَّدة من الأساس تكون مدخلًا للمكوِّن التَّحويليِّ والمكوِّن الدَّلاليِّ ، بينما تكون البنية السَّطحيَّة المولَّدة من المكون التَّحويليِّ مدخلًا للمكوِّن الصَّوتيِّ[(١)]، وما يُهمُّنا هنا أنَّ **تشومسكي** قد أدرج المكوِّن الدَّلاليَّ *Semantic Component* ، إذ أضحت الدَّلالة عنصرًا في مكوِّنات التَّحليل النَّحوي ، مع الاحتفاظ بمبدأ توليديَّة التَّركيب واستقلاليته عن الدَّلالة ، في مقابل القول بتأويليَّة الدَّلالة وارتباطها بالبنية العميقة [(٢)].

وعلى الرُّغم من أنَّ **تشومسكي** في هذا النُّموذج قد رسَّخ الأسس المنهجيَّة لنظريته التَّوليديَّة التَّحويليَّة من خلال نموذج صُوريٍّ يحكمه نظام نحويٌّ واضح ودقيق يجمع بين نسقين من القواعد أحدهما يشمل القواعد التَّركيبيَّة الَّتي تنتظم داخلها قواعد إعادة الكتابة الَّتي تنتج لنا البنية العميقة ، والآخر نسق من القواعد التَّحويليَّة الَّتي تتحول من خلالها البنية العميقة إلى بنية سطحيَّة ، فإنَّ آراءه حول توليديَّة التَّركيب وتأويليَّة الدَّلالَة ، والقول بارتباط الدَّلالة بالبنية العميقة فقط قد فجَّر خلافاتٍ ذاتَ بالٍ بين أتباع مذهبه التَّوليديِّ التَّحويليِّ ، فيما يخصُّ آليَّة عمل المكوِّن الدَّلاليِّ الَّذي ربطه

(١) انظر : اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي : مفاهيم وأمثلة – مصطفى غلفان الصفحة ١١١

(٢) انظر : المرجع السابق : ١٢٣

تشومسكي بالبنية العميقة من أجل إحداث التَّغييرات الدَّلاليَّة المناسبة من خلال قواعد الإسقاط الَّتي تُسقط المعنى على بنية تركيبيَّة معينة(١)، و أدَّت هذه الخلافات في النِّهاية إلى ظهور ما يعرف باتجاه الدَّلالة التَّوليديةَّ (*Generative Semantics*) على يد منتقدي **تشومسكي** من أمثال (**شارل فيلمور** *Charles Fillmore 1929–2014*) ، (**جورج لاكوف** *George Lakoff ...–1941*) في مقابل الدَّلالَة التَّأويليَّة الَّتي طرحها **تشومسكي** في نموذجه المعيار ، حيث سعى هؤلاء إلى إزالة هذا الفصل المصطنع بين التَّركيب والدَّلالَة من خلال طرح جديد يرى أنَّه لا وجود لما يسمَّى بالبنية العميقة ، أو يرفضها في أقلِّ تقدير بالصُّورة الَّتي طرحها **تشومسكي** في نموذجه المعيار، فالبنيات المولَّدة من المكوِّن الأساس ، هي في الأصل تمثيلات دلاليَّة ، ومن ثمَّ فإنَّ البنية العميقة هي التَّمثيل الدَّلاليُّ للجملة وليست التَّمثيل النَّحويَّ التَّركيبي لها ، وأنَّ قواعد التَّحويلات تظلُّ تعمل عليها إلى أن تصل بها إلى البنية السَّطحيَّة(٢)، ومن ثمَّ اقترحوا هيكلًا أو نموذجًا جديدًا للنَّظريَّة المعيار من منظور أنصار الدَّلالة التَّوليديَّة على النَّحو التَّالي :

---

(١) انظر : البنية العميقة في الدرس اللساني العربي ، المقولة والإجراء – آلاء علي عبد الله العنبكي : ٢١٣ [دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع – العراق – الطبعة الأولى . ٢٠١٤ م]

(٢) انظر : مقدمة في نظرية القواعد التوليدية – مرتضى جواد باقر : ٦٥ [دار الشروق للنشر والتوزيع – الأردن – عمان – الطبعة الأولى ٢٠٠٢م] ، وانظر : نظرية تشومسكي اللغوية _ جون ليونز : ١٨٠ ، وانظر كذلك : اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي : مفاهيم وأمثلة – مصطفى غلفان الصفحة ١٢٤

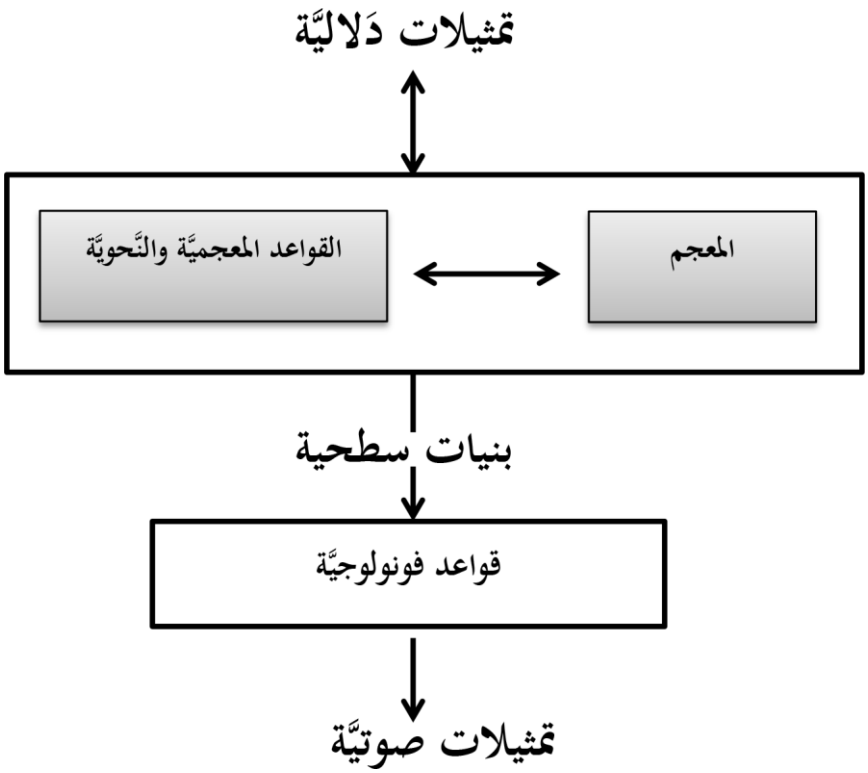

وشكَّلت هذه الانتقادات الموجَّهة في الأساس إلى طبيعة العلاقة بين المكوِّن التَّركيبيِّ ، والمكوِّن الدَّلاليِّ وآليات عملهما ، والدَّور المنوط بكلٍّ منهما في إنتاج الجمل ، إطارًا للتَّعديلات الَّتي سيُدخلها **تشومسكى** على نموذجه المعيار (١٩٦٥) ، تحت ما عُرف **بنظرية المعيار الموسَّعة** (*The Extended Standard Theory*) (١٩٧٢) ، وعلى الرُّغم من أنَّ **تشومسكي** قد أبقى على مركزيَّة التَّركيب واستقلاليته ، ورفض فرضيَّات أصحاب الدَّلالة التَّوليديَّة من القول بأنَّ التَّمثيلات التَّركيبيَّة في البنية العميقة هي في الأساس تمثيلات دلاليَّة ؛ فإنَّه قد أحدث تغييرًا مُهمًّا في هيكل نظريته المعيار حين أقرَّ بإسهام البنية السَّطحيَّة في التَّأويل الدلاليِّ بعد أن كان مقصورًا على البنية العميقة[١]، كما قدَّم تصوُّرًا عامًّا حول التَّشاكل الحاصل

(١) انظر : مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي – بريجيته بارتشت : ٢٩١ ، وانظر : المدارس اللسانية المعاصرة – نعمان بوقرة : ١٦١ ، وانظر : اللسانيات

بين البنيات الداخليَّة للمركَّبات الاسمية والفعليَّة والوصفيَّة في صورة ما أسماه بنظريَّة (**س خط**)[١]، إضافة إلى أنَّه قد أدرج ما يعرف بنموذج (**العمل والربط**) في إطار هذه النظريَّة المعياريَّة الموسَّعة الَّذي تخلَّى من خلاله عن مفهوم البنية العميقة الَّتي استُبدلت بما أسماه (الشَّجرة المركبيَّة الأوليَّة)[٢]الَّتي لم تعد مستقلة عن التَّأويل الدَّلالَيِّ ، ومن هذه الشَّجرة المركبيَّة الأوليَّة تنطلق عمليَّات الاشتقاق بواسطة عمليَّات إعادة الكتابة الجديدة الِّتي سمَّاها نظريَّة (**س خط**) ، تخلُص في النِّهاية إلى إنتاج الصُّورة الصَّوتيَّة من جهة والصُّورة المنطقيَّة من جهة أخرى ، ولم يقتصر التَّعديل هنا على التَّخلِّي عن مفهوم البنية العميقة فقط ، بل امتدَّ إلى تعديل مفهوم البنية السَّطحيَّة إلى ما يعرف بالبنية السَّطحيَّة ذات الآثار الَّتي أصبح لها دور كبير في التَّأويل الدَّلاليِّ[٣].

ولا يكاد برنامج (**الحد الأدنى** *The Minimalist Program*) ، أو (**البرنامج الأدنوي**) – كما يُطلق عليه كثير من الدَّارسين المعاصرين – يبتعد كثيرًا عن المبادئ والثَّوابت المستقرة في النَّحو التَّوليديِّ التَّحويليِّ ، وإنَّما يأتي في إطار انسلاخات عديدة تهدف في الأساس للوصول إلى صورة أكثر تركيزًا وبساطة تعتمد أنظمة صوريَّة تنتظم أكبر قدر ممكن من الوقائع والمعطيات اللُّغويَّة انطلاقًا من نسقٍ حاسوبيٍّ (*Computational System*) يُحدِّد الخصائص العامة للملكة اللُّغويَّة الَّتي لا تعمل إلا في إطار (معيار الاقتصاد *Economy Criterion*) للوصول إلى التَّصميم الأمثل لهذه الملكة اللُّغويَّة (*Optimal Design*) ومن هنا كان لزامًا التَّخلِّي عن العديد من

التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي : مفاهيم وأمثلة – مصطفى غلفان : ١٥٨ ، و ١٩٦

(١) انظر : اللسانيات التوليدية – مصطفى غلفان : ١٧٣

(٢) انظر : المرجع السابق : ٣٠١

(٣) انظر : المرجع السابق : ٣٠٢

التَّمثيلات والتَّحويلات المرتبطة بتأطير القواعد وتشكيل الهيكليَّة العامَّة للنَّظريَّة وطرائق اشتغالها وتفعيلها ، وفي إطار تحقيق هذا المسعى تخلَّص برنامج الحد الأدنى من بعض التَّحويلات الزَّائدة الَّتي كانت تستعمل في الرَّبط بين الصَّوت والدَّلالة ؛ إذ إنَّ العلاقة بين الأصوات والتَّصوُّرات الدَّلاليَّة لها تقتضي وجود درجة كبيرة التَّحديد والدِّقَّة ، ومن ثَمَّ حدث تقليص للمستوى التَّمثيلي للجملة إلى أدنى صورة ، واختزل في التَّمثيل الصَّوتيّ ، والتَّمثيل المنطقيّ ، ووفقًا لهذا المبدأ أيضًا اختزل تشومسكي مع برنامجه الأدنويّ النِّظام النَّحويَّ في مكوِّنين أساسيِّين هما : (المعجم) ، و (النَّسق الحاسوبي) إذ يمثِّل المعجم القاعدة الاشتقاقيَّة الَّتي تخصِّص العناصر الَّتي يقوم النَّسق الحاسوبيُّ بدمجها في إطار التَّركيب ، ومن ثَمَّ تظهر في التَّمثيل الصَّوتيّ والدَّلاليّ (المنطقيّ) ، من خلال حزمة من عمليَّات حاسوبيَّة تراتبيَّة ، حيث تبدأ بـ (**انتقِ** *Select*) ، ثمَّ (**ضُمَّ** *Merge*) ، وإجراءات الضَّمِّ هنا عوَّضت مفهوم البنية العميقة ، ثُمَّ (**انقلْ** *Move*) ، وحين الانتهاء من تلك الحزمة ينتقل النَّسق الحاسوبيُّ إلى (**التهجية** *Spell-out*) الَّتي عوَّضت مصطلح البنية السَّطحيَّة ومن خلالها يبرز التَّمثيل الصَّوتيّ ، والمنطقيّ[1].

وقبل ذلك يصنِّف المعجم الخصائص الصَّوتيَّةَ والدَّلاليَّةَ للمفردات في إطار أنواع ثلاثة من السِّمات المعجميَّة ، وهي:

(أ) سمات دلاليَّة .

(ب) سمات صوتيَّة .

(ج) سمات تركيبيَّة ، وتشمل ثلاثة أنواع من السمات ، وهي :

- (السِّمات المقوليَّة) : [اسم – فعل – حرف]
- (السِّمات التَّطابقيَّة أو الإحاليَّة): (جنس– عدد– شخص]

(١) انظر : مظاهر اللاتناسق في النظريَّة التوليدية – سمية المكي : ١٠١ – ١٢٧ [مجلة موارد – كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الوسط – تونس – سوسة – العدد ١٤ / ٢٠٠٩ م] .

- (السِّمات الإعرابيَّة) [1].

والسِّمات الدَّلاليَّة والصَّوتيَّة تضمن حيَّزًا في التَّمثيل الصَّوتيِّ ، والتَّمثيل المنطقيِّ (الدَّلاليِّ) ، أمَّا السِّمات التَّركيبيَّة – وَفقًا لمبدأ الاقتصاد – فإنَّ الوحدات المعجميَّة تدخل في إطار النَّسق الحاسوبيِّ التَّركيبيِّ وهي تامَّة التَّصريف بعد تعيين انتمائها التَّركيبيِّ في إطار السِّمات المقوليَّة (اسم – فعل – حرف) ، والسِّمات الإحاليَّة التَّطابقيَّة (جنس – شخص – عدد) ، ويقوم النَّسق الحاسوبيُّ بفحص هذه السِّمات وترتيبها من أجل" تكوين الأوصاف البنيويَّة من صوت ومعنى"[2]، فإذا توافقت هذه السِّمات فنحن أمام بنية سليمة ، وإن لم تتوافق سقطت البنية كلها .

ووفق هذا التَّصوُّر الأدنويِّ فإنَّ مجال التَّأويل للسِّمات الدَّلاليَّة يرتبط بالنَّسق القَصديِّ التَّصوُّريِّ ، بينما يرتبط تأويل السِّمات الصَّوتيَّة بالنَّسق النُّطقيِّ الإدراكيِّ ، في حين يجمع مجال تأويل السِّمات التَّركيبيَّة بين السِّمات المقوليَّة والإحاليَّة الَّتي تؤثر على انضواء الكلمات ضمن النَّسق التَّركيبيِّ ، وبناءً عليه فإنَّ السِّمات الدَّلاليَّة والصَّوتيَّة هما بمنزلة قوتين إنجازيتين ترفدان النَّسق التَّركيبيَّ بإشارات تأويليَّة[3]. بيد أنَّ اللَّافت هنا المكونات المعجميَّة تستند إلى سمات دلاليَّة وصوتيَّة وتركيبيَّة ، وكلُّ مستوى من هذه المستويات يعمل على المادة المعجميَّة ذاتها على الرغم من اختلافها في آليَّات التَّحليل الَّتي ترتكز إليها، ففي حين تنشغل السِّمات الدَّلاليَّة بتأويل المعنى والاهتمام بالقصديَّة والتَّصوُّر، ترتكز السِّمات الصَّوتيَّة على ما يقع في إطار التهجية

(١) انظر: المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي – عبد القادر الفاسي الفهري : ١٩: ٢٢ [دار توبقال للنشر – الدار البيضاء – المغرب – الطبعة الأولى – ١٩٩٨م]

(٢) انظر : المقولات الوظيفية في الجملة العربية ، دراسة صرفيَّة تركيبيَّة – الحسن السعيدي : ٢٤ [منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة سيدي محمد بن عبد الله– سايس – فاس – المغرب – سلسلة رسائل وأطروحات رقم ١٠ – الطبعة الأولى – ٢٠٠٥ م]

(٣) انظر : المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي – عبد القادر الفاسي الفهري : ٢٠

والنُّطق، وفي المقابل تهتم السِّمات التَّركيبيَّة بالمقولات أو الفئات والإحالات ، ومن ثمَّ فإنَّ لكلِّ نسق من هذه الأنساق مجال عمل ومنهجيَّة خاصة ترتبط به يصعب معها الحديث عن علاقة توافقيَّة بين التَّركيب والدَّلالة في إطار هذا الاختلاف في المنهجيَّة والمعطيات .

وكيفما كان الأمر فإنَّنا عبر هذه الإطلالة العابرة الَّتي اطَّلعنا خلالها على أبرز التحوُّلات التي مرَّ بها النَّحو التَّوليديُّ التَّحويليُّ وأشكال التَّطور والانتقال في نماذجه الصُّوريَّة وأدواته الإجرائيَّة والتَّحليليَّة ، لاحظنا فيها أنَّه على الرُّغم من المراجعات والتَّعديلات الَّتي مرَّ بها النَّحو التَّوليديُّ التَّحويليُّ على اختلاف نماذجه الصُّوريَّة فإنَّ فلسفته العقلانيَّة ، ومنهجيَّته الصُّوريَّة الاستنباطيَّة وما يدور في فلكها من مقولات ومفاهيم لا تكاد تتغيَّر كثيرًا في إطار سعيها الدَّائب للكشف عن القواعد المطَّردة التي تُمثِّل الملكة أو القدرة اللسانيَّة للوصول إلى ما أسمته النَّحو الكليَّ *Universal Grammar* ، مع تأكيدها في كلِّ مرحلة على مركزيَّة التَّركيب وأنَّه " المصدر الوحيد للقدرة التَّوليديَّة في اللُّغة "[(١)]، واستقلال مستوى دراسته وتناوله عن بقيَّة المستويات اللُّغويَّة ، وعلى الرُّغم من إسهامات **كاتز** *Katz* ، **وفودور** *Fodor* ، **وبوستال** *Postal* ، **وفيلمور** *Fillmore* ، **ولاكوف** *Lakoff* في رأب الصدع ، ومواجهة المأزق الَّذي يواجهه النَّحو التَّوليدي فيما يخصُّ الدَّلالة من خلال افتراض عدة نظريات تكميليَّة لإقامة نظريَّة دلاليَّة تتوافق مع أهداف النَّحو التَّوليديِّ ، فإنَّه كما قال (**راي جاكندوف** *Ray Jackendoff*) : " لم يكن للنَّحو التَّوليديِّ على العموم سوى القليل مِمَّا يقوله عن المعنى"[(٢)]والدَّلالَة .

---

(١) دلالة اللغة وتصميمها: ١٣ [كتاب يضمُّ نصوصًا مترجمة لجاكندوف، وتشومسكي، وفندلر، قام بترجمتها: محمد غاليم، ومحمد الرحالي، وعبد المجيد جحفة تحت عنوان : دلالة اللغة وتصميمها . دار توبقال – الدار البيضاء – المغرب – الطبعة الأولى – ٢٠٠٧م] .

(٢) المرجع السابق : ١٣

المبحث الثَّالثُ
التَّركيبُ والدَّلالَةُ
في إطارِ اللِّسانيَّات الإدراكيَّة[1]

(*Cognitive linguistics*)

تُعَدُّ العلوم الإدراكيَّة (*Cognitive Sciences*) أحد الحقول المعرفيَّة الحديثة التي تجمع بين العديد من المجالات والتخصُّصات الَّتي تهتمُّ بدراسة آليَّات اشتغال الذِّهن وكيفيَّة تشكُّل العمليَّات الإدراكيَّة والمعرفيَّة في العقل البشريّ ، تتكامل فيها معطيات علوم متباينة كالأنثروبولوجيا ، والفلسفة ، واللِّسانيَّات النَّفسيَّة ، وعلم النَّفس المعرفيّ ، وعلوم الأعصاب ، والذكاء الاصطناعيّ ، وغيرها من العلوم الَّتي تنبثق من المحيط المعرفيّ الثَّقافيّ الَّذي يُعنى بالإدراك البشريّ أو النشاط الذهنيّ وآليَّات اشتغاله[2]، ذلك المحيط الَّذي

---

(١) يُبرز تفضيلنا لهذه الترجمة لمصطلح (*Cognitive*) في الإنجليزيَّة إشكاليَّة سيظهر صداها بعد قليل في إطار معالجاتنا وتناولنا في هذا المبحث ، ترتبط في الأساس بإشكاليَّات الاختلاف في ترجمة المصطلحات الواردة في إطار اللسانيَّات الحديثة والمعاصرة، فعلى الرغم من أنَّ مصطلح (*Cognitive*) قد حظى بدرجة كبيرة من الشيوع في الدراسات النفسية والفلسفيَّة عبر عقود ماضية ، فقد أسندت إليها ترجمات أخرى في إطار اللسانيَّات المعاصرة كالعرفانية وهو مصطلح يتماس مع مصطلح العرفان الذي له جريان واسع في مجال الفلسفة والتصوف ، وكذلك مصطلح العرفنة الذي اقترحه الأكاديمي التونسي المعروف الأزهر الزناد الأستاذ بجامعة منوبة من خلال كتابه نظريات لسانيَّة عرفنيَّة [انظر بحث الدكتور عمر بن دحمان الموسوم بـ : (المعرفة ، الإدراك ، العرفنة ، بحث في المصطلح) في مجلة الخطاب – من منشورات مخبر تحليل الخطاب – جامعة مولود معمري – تيزي وزو – الجزائر – المجلد ٨– العدد ١٤ – مارس ٢٠١٣ – الصفحات من ٢٦/٧]

(٢) انظر : نظريات لسانيَّة عرفنيَّة – الأزهر الزناد : ١٥ [الدار العربية للعلوم ناشرون ، بالاشتراك مع دار محمد علي للنشر ، ومنشورات الاختلاف – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ٢٠١٠م] .

تُمثِّلُ اللُّغةُ الإنسانيَّة بؤرتَهُ المركزيَّةَ الَّتي تربط بين علومه الإدراكيَّة ومصادرها المتنوِّعة ، ومن ثَمَّ اضطلعت اللِّسانيَّات الإدراكيَّة (*Cognitivelinguistics*) بدراسة هذه البؤرة ومحاولة فهمها وتفسيرها والاستدلال عليها .

فاللُّغة في إطار المقاربات اللِّسَانيَّة الإدراكيَّة لا يمكن عزلها عن تجربة الإنسان الَّتي تُشكِّل خبراته وتؤثر في الكيفيَّة الَّتي يدرك بها العالم المحيط ، وصياغة مفاهيمه عنه ، كما تنظر هذه اللِّسانيَّات إلى اللُّغة بوصفها موضوعًا طبيعيًّا ذا أساس بيولوجيٍّ ، ومن ثَمَّ انتقلت معها دراسة اللُّغة من دراسة السُّلوكيَّات اللُّغويَّة إلى دراسة الأنظمة المرتبطة بالتَّمثيلات الذِّهنيَّة ، فالملكة اللُّغويَّة الَّتي يمتلكها الإنسان هي نظام لغويٌّ يرتبط بتفكيرنا غير اللُّغويِّ في العالم المحيط ، فالذِّهن البشريُّ يقدِّم لنا أوصافًا لا يمكن أن تستمدَّ من المستويات اللُّغويَّة كالأصوات والصَّرف والتَّراكيب وحدها ، وإنَّما تشاركها التَّصوُّرات والمعتقدات الَّتي يتوسَّلها الفكر من أجل فهم المعاني وإدراكها ، فالصُورة اللُّغويَّة تُقدِّم الإطار الملائم للفكر من أجل أن يكون قابلًا للوعي والإدراك ، ومن ثَمَّ يرى (**جاكندوف** *Jackendoff* ***1945***) أنَّه إذا "لم تكن مستعدًّا للتَّعامل – على الأقل – مع اللُّغة والذَّكاء والوعي والذَّات والتَّفاعل الاجتماعي والثَّقافيِّ ؛ فإنَّك لن تفهم المعنى"(١).

وقد نهضت اللِّسانيَّات الإدراكيَّة في ظلِّ حالةٍ من عدم الرضا عن التَّقاليد اللَّسانيَّة الَّتي سادت خلال القرن العشرين من خلال الوصفيَّة البنيويَّة ، أو الصُوريَّة التَّحويليَّة الشَّكليَّة ؛ لتعكف على رصد دور العمليَّات العقليَّة في مسارات اتِّساقها أو تقاطعها ضمن النَّشاط اللِّسانيِّ الإدراكيِّ، ومن هنا فإنَّ الدِّراسات اللِّسانيَّة الإدراكيَّة تعالج اللُّغة من خلال إطارين أولهما يختصُّ بطبيعة النَّشاط الذِّهنيِّ الإدراكيِّ الَّذي تتشكَّل من خلاله ، والآخر يعالج وظيفتها التَّمثيليَّة ؛"ولذلك وجب تناولها من زاوية خصائصها الدَّلاليَّة العَرفنيَّة ،

(١) دلالة اللغة وتصميمها : ١٢

ومن زاوية تفاعلها وسائر الملكات العرفنيَّة من قبيل الإدراك ، والتَّذكُّر ، والتَّصوير ، والعمل، والتَّجسدن، وتمثيل البيئة ، والسِّياق، وما إلى ذلك"[1]

ولم تنشأ اللِّسانيَّات الإدراكيَّة بدايةً في إطار رؤية إبستمولوجيَّة موحَّدةٍ متبلورةٍ ، وإنَّما نشأت في إطار تيَّار استقطب عدَّةَ نظريَّاتٍ تجمعها منطلقاتٌ تتقاطع مع اللِّسانيَّات التَّوليديَّة التَّحويليَّة وتنشقُّ عنها ، استثمارًا للزَّخم المعرفيِّ الَّذي أحدثته أطروحات الدِّلاليِّين التَّوليديِّين الَّتي اجتهدت في محاولاتها من أجل استقطاب الدَّلالَة ودمجها في الإطار البنيويِّ العام والإطار التَّوليديِّ التَّحويليِّ على وجه الخصوص ، وهو التيَّار الَّذي أغرى الكثير من التَّوليديِّين بالانخراط فيه للخروج من المأزق الرَّئيس الَّذي تردَّت فيه المدرسة التَّوليديَّة بتمترسها حول التَّركيب ومركزيته واستقلاليته.

التَّرْكِيبُ مِنَ الْمَرْكَزِيَّةِ إِلَى اللَّامَرْكَزِيَّةِ :

على الرُّغم من أنَّنا لا نستطيع أن ننكر أنَّ تشومسكي قد شقَّ لنفسه طريقًا جديدًا وَفق نهج عقلانيٍّ تفسيريٍّ نأى به عن اللِّسانيَّات البنيويَّة التَّجريبيَّة ، وأحدث من خلاله طفرةً نوعيَّة في الدَّرس اللَّسانيِّ أسهمت في الإحاطة بجوانب مهمَّة تتعلَّق بقدرة الذِّهن البشريِّ على إنتاج اللُّغة وتأويلها ، وإذا كان اللَّسَانيَّات البنيويَّة قد استهدفت البحث في النَّظام اللُّغويَّ بمعزلٍ عن سياقاته الخارجيَّة ، وعن العمليَّات العقليَّة السابقة لإنتاج اللُّغة ؛ فإنَّ تشومسكي قد بحث في العمليَّات العقليَّة المولَّدة للُّغة بوصفها آليَّات منفصلة عن العمليَّات العقليَّة المرتبطة بالإدراك والتَّصوُّر والتَّخيُّل ، وعلى الرغم من أنَّ كثيرًا من الدَّارسين قد داروا في فلكه ، وتبنَّوا أفكاره وقاموا بالاستدلال عليها وتطويرها ؛ فإنَّهم سرعان ما نفضوا أيديهم منها ووجهوا إليها سهام نقدهم ، وخاصة ما يتعلَّق بمبدأ مركزيَّة التَّركيب واستقلاليته عن مستويات الدَّرس اللُّغويِّ الأخرى ، وتحييد الأصوات والدَّلالة ، ومن ثَمَّ انصرفوا عن نحوه التَّوليديِّ التَّحويليِّ

(١) المرجع السابق : ٢٧- ٢٨ .

لينخرطوا في إطار ما يُسمَّى الآن باللِّسَانيَّات الإدراكيَّة الَّتي تُعنى في الأساس بدراسة اللُّغة ضمن الآليَّات الإدراكيَّة والعمليات العقليَّة ، دون اعتبارات تفضيليَّة أو مركزيَّة للتَّركيب .

ومعها انتقلت المعالجات اللُّغويَّة من إطارها التَّركيبيِّ النَّمطيِّ إلى "العمليَّات الذِّهنيَّة المؤسِّسة لمختلف التَّراكيب النَّحويَّة"(١)؛ ولأنَّ هذه العمليَّات الذِّهنيَّة لا تخصُّ لغة بعينها دون غيرها ، فإنَّ المعالجات التَّقليديَّة وما يلازمها من قواعد تركيبيَّة لم تَعُدْ لها ذات الأهميَّة التي احتلتها في الدَّرس اللِّسانيِّ البنيويِّ والتَّحويليِّ على السَّواء ، وإنَّما انصبَّ الاهتمام على التَّمييز بين العناصر والتَّمثُّلات اللُّغويَّة ، والآليَّات الذِّهنيَّة والمعرفيَّة الَّتي يتبناها المتكلِّم والسَّامع في معالجة هذه العناصر والتَّمثُّلات اللُّغويَّة(٢).

وقد نشأ النَّحو الإدراكيُّ (*Cognitive Grammar*) في ظلِّ حركة تطور وانبثاق تناهض تيارًا عكف على دراسة ظواهر التَّوليد والتَّحويل في إطار نظاميَّة اللُّغة وتركيبيتها ، إذ انطلق (**رونالد لانجاكير** *Ronald Langacker* ***1942***) في تحديده للنَّحو الإدراكيِّ من رؤية شاملة تأبى ذلك التَّصوُّر الَّذي فُصِلَ بمقتضاه بين المستويات اللُّغويَّة الَّتي تُسهم في بناء المعنى وتشكيله ، وكذلك ترفض الفصل بين المستويات اللُّغويَّة ، وكل ما يرتبط بالعالم الخارجي من ثقافات ومعتقدات ، على النَّحو الَّذي دفع البعض إلى الفصل بين ما سمَّوه (المعنى اللُّغويَّ *The linguistic meaning*) ، و (المعنى غير اللُّغويِّ *The non-linguistic meaning*)(٣).

---

(١) مدخل إلى النحو العرفاني ، نظرية رونالد لانقاكر *Ronald Langacker* – عبد الجبار بن غريبة : ١٧[كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة – مسكيلياني للنشر والتوزيع – زغوان – تونس – الطبعة الأولى – ٢٠١٠ م]

(٢) انظر : المرجع السابق : ١٧

(٣) انظر : المرجع السابق : ٢٨

وإذا كان تشومسكي قد نظر إلى جملة العمليَّات العقليَّة الَّتي تلازم نماذجه في التَّحليل اللُّغويِّ بوصفها عمليَّات منفصلة لا صلة لها بالبحث اللِّسانيِّ ، فقد أوْلى النَّحو الإدراكيُّ أهميَّة كبرى لهذه العمليَّات العقليَّة الَّتي تعمل بصورة كليَّة متكاملة لا تنحصر في النَّشاط اللُّغويِّ فحسب ، وإنَّما تهتمُّ بمختلف الميادين المعرفيَّة ، وقد تمتدُّ إلى أنشطة حياته اليوميَّة[١]، مع الاستفادة من معطيات علم النَّفس المعرفيِّ كالإدراك والتَّخيُّل والتَّصوُّر ، وهي المعطيات الَّتي حيَّدها تشومسكي في نظريَّته .

والهدف المنشود في النَّحو المعرفيِّ هو إعادة الاعتبار لكلِّ المستويات اللُّغويَّة ؛ لتصبح جميعها ذات حيثيَّات مُعتبرة في مقابل الحيثيَّة المركزيَّة التي أسندت للتَّركيب في النَّحو التَّوليديِّ ، ومن ثَمَّ فإنَّ النَّحو الإدراكيَّ يتناول البنية اللُّغويَّة في إطار نظرة شاملة لا تعترف بالفصل والاستقلال الشَّكليِّ بين البنية الصَّوتيَّة ، والبنية الصَّرفيَّة ، والبنية النَّحويَّة ، والبنية الدَّلاليَّة والمعجميَّة ، وإنَّما هي كلٌّ متكاملٌ تحكمه علاقات من التَّداخل والتَّقاطع بين هذه المستويات الرَّمزيَّة الَّتي تخدم المفاهيم الَّتي ترمز إليها ، إذ اللُّغة وَفق هذا المنظور جهاز معرفي يُمكِّننا من صياغة المفاهيم والتَّصوُّرات في شكل سلاسلّ صوتيَّةٍ . والوحداتُ المعجميَّة ما هي إلَّا معطياتٌ جاهزة بفعل الاصطلاح والمواضعة ، وليس على المتكلِّم إلا إدراجها في كلامه دون النظر في تكوينها الصَّوتيِّ أو الصَّرفيِّ أو الإعرابيِّ[٢]. والمعنى والتَّصُّور الخاص به صنوان متكاملان ؛ فمعنى أيَّة عبارة ليس إلَّا ذلك البناء أو التَّشكيل الخاص الَّذي تضفيه العبارة على حالة أو مشهد تصوريٍّ معيَّنٍ ، ومن هنا فإنَّ التَّحليل الدَّلاليَّ لهذه العبارة ينصبُّ على إبراز الآليَّات الَّتي اعتمدت في تشكيل هذه العبارة وبنائها بهذه الطريقة المخصوصة، والتَّركيب النَّحويُّ لعبارة ما يُحدِّده

(١) انظر : المرجع السابق : ٣٩

(٢) انظر : النظام والعرفان في اللُّغة – فدوى العذاري : ١٠٢ [مجلة الميادين للدراسات في العلوم الإنسانيَّة – غليزان – الجزائر – المجلد الأول – العدد الثاني – مايو ٢٠١٩م]

ويبرِّره التَّشكيل الدَّلاليُّ لهذه العبارة ، ومن ثمَّ فإنَّنا لا نستطيع بحال أن نحدث فصلًا مصطنعًا بين صورتها التَّركيبيَّة وتنظيمها الدَّلاليّ[١].

فاللُّغة في اللِّسانيَّات المعرفيَّة هي بنية رمزيَّة ، تنتظمُ وحداتٍ لغويَّةً منها المعجميُّ ، ومنها الصرفيُّ ، ومنها التَّركيبيُّ ، وهذه الوحدات هي مجرَّد وحدات رامزة تضطلع بمهمَّة الرَّبط بين المحور الدَّلاليّ ، والمحور الصَّوتيّ ، وهذه البنية لا يمكن الفصل بين مختلف مكوناتها ، وينتظم النَّحو مجموعةً منظَّمة من الأبنيَّة اللُّغويَّة المشتركة الَّتي نشأت واستقرَّت في إطار المواضعة والاصطلاح بين المتكلِّمين بلسان معيَّن ؛ ولذا فإنَّ على الدَّرس النَّحوي أنْ يبحث في الكيفيَّة الَّتي تُحلَّل بها العبارات من خلال وظيفتها الرَّمزيَّة[٢]، وتصوُّر العمليَّات الذِّهنيَّة الَّتي تُشكِّل التَّراكيب ، وبذلك أعاد النَّحو المعرفيُّ الاعتبار للبنية السَّطحيَّة الَّتي تبرز التَّنظيم الذِّهنيَّ الإدراكيَّ للعبارات[٣]، الَّتي يعكس اختلافُها وتباينُهَا الفوارقَ في التَّصوُّرات والعمليَّات الذِّهنيَّة المؤسِّسة لها.

وتنطلق العمليات اللُّغويَّة من تنظيم ذهنيٍّ مسبق يشكِّل الإطار المنظِّم لكلِّ العمليَّات اللِّسانيَّة الَّتي تتمظهر في المعالجة اللِّسانيَّة المكتوبة أو المنطوقة أو الإشارات الاصطلاحيَّة المتواضع عليها ، وفي هذا الإطار أصبح النحو يُمثِّل قاعدة بيانات ذهنيَّة مختزنة لأبنية اصطلاحيَّة وقواعد معياريَّة ذهنيّة تخضع في ذاكرة كلِّ فردٍ متكلِّم لأعراف المجتمع اللُّغويّ الَّذي ينتمي له ، تُمكِّننا من تصنيف معاني ودلالات الألفاظ والتَّراكيب والجمل .

---

(١) انظر : مدخل إلى النحو العرفاني : ٣٦

(٢) انظر : الاسم والاسمية والإسماء في اللغة العربية – مقاربة نحوية عرفانية – توفيق قريرة : ١٩ [مكتبة لسان العرب – الطبعة الأولى – ٢٠١١م]

(٣) ضمن الاصطلاحات المتعارف عليها في أدبيات النحو المعرفي تطلق كلمة (عبارة) على كل وحدة لغوية دون اعتبار لحجمها ، إذ تطلق (عبارة) على اللفظة المفردة ، أو الجملة . [انظر : مدخل إلى النحو العرفاني : هامش الصفحة ٣٥]

وإذا كان المكوّن الدَّلاليُّ يُمثِّل بُؤرة الاهتمام في اللِّسانيَّات الإدراكيَّة ؛ فإنَّ هذه اللِّسانيَّات لا تُقصي دراسة المكوّن النحويّ ، فدراسة الدلالة والمعنى" تتضمن دراسة الصِّيغ والأبنية والتَّراكيب"(١)، بيد أنَّ دراسة المعنى في النَّحو الإدراكيِّ تستدعي معرفة موسوعيَّة (*Encyclopedic knowledge*) تتجاوز حدود المعرفة اللُّغويَّة ، فالقوانين اللُّغويَّة قاصرة وحدها عن التَّحديد الدَّقيق للمعنى والدَّلالة ، والاقتصار على تحليل المكوّنات اللُّغويَّة في تفسير المعنى لا يُعَدُّ كافيًا ؛ لأنَّ المعنى اللُّغويَّ يتكامل مع خبرات إدراكيَّة ارتبطت بتجارب في العالم الخارجيّ شكَّلت صورة ذهنيَّة أنتجت هذه الدَّلالة ، ويُمكن تمثيل العلاقة بين التَّركيب والدَّلالة في إطار اللِّسانيَّات الإدراكيَّة من خلال الشكل التَّالي:

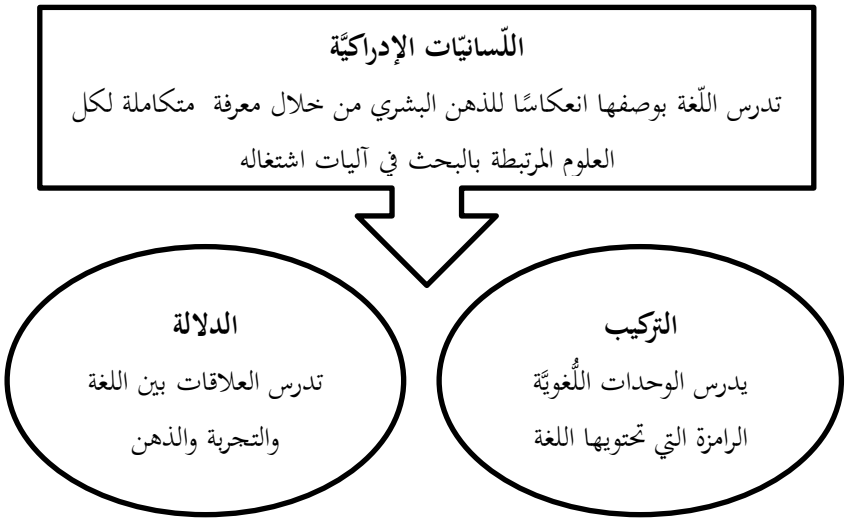

فيهتمُّ النحو الإدراكيُّ بالبحث في هذه الوشائج والتَّفاعلات بين المكوّنات اللُّغويَّة والعمليَّات الذِّهنيَّة العقليَّة والتَّجربة الإنسانيَّة في العالم الخارجيّ وما يرتبط بها من مؤثِّرات ثقافيَّة واجتماعيَّة ، ومن ثمَّ فاللُّغة في إطار هذا المفهوم الإدراكيّ المعرفيّ هي ملكة ذهنيَّة إدراكيَّة تنظِّم المعلومات

(١) مدخل إلى النحو العرفاني : ٣٧

والخبرات من خلال معالجات تُمثِّل الدَّلالةُ النواةَ المركزيَّة لها ، وفي إطار هذا المفهوم أيضًا يمكننا معالجة الانزياحات والمجازات والمجرَّدات الَّتي ترتبط جميعها بتراكمات معرفيَّة وتجارب وخبرات واقعيَّة محسوسة مختزنة في الذِّهن، خلَّقت دلالة هذه المجردات وَفق رؤية إدراكيَّة تصوُّريَّة خاصَّة للعالم الطبيعيِّ المحسوس، وقد أحدث هذا المنظور الإدراكيَّ للدَّلالة تحوُّلًا نوعيًّا جوهريًّا في مسار الدَّرس اللِّسانيِّ مع نهايات القرن العشرين الَّذي سيطرت عليه الدِّراسات التَّوليديَّة التَّحويليَّة الَّتي فصلت بين المكونات اللُّغويَّة والمعرفة الموسوعيَّة الشَّاملة من خلال التَّركيز على الملكة اللُّغويَّة التي تُمثِّل قسمًا من العقل يتكفَّل بتحديد المفاهيم اللُّغويَّة وتنظيمها بمعزل عن العمليَّات والخبرات العقليَّة والمعرفيَّة الأخرى .

الدَّلَالَةُ وَالبِنْيَةُ التَّصَوُّرِيَّةُ (*Conceptual Structure*) :

تُمَثِّل المعرفة اللُّغويَّة في المفهوم الإدراكيِّ عنصرًا من عناصر الإدراك الذِّهني الَّذي لا تنفصل في إطاره المكوِّنات المعرفيَّة اللُّغويَّة عن غير اللُّغويَّة ؛ إذ إنَّ العمليَّات الذِّهنيَّة الَّتي تحكم الفكر البشريَّ وتشكِّل معارفه وخبراته البصريَّة والسَّمعيَّة هي ذاتها الَّتي تُشكِّل معارفه اللُّغويَّة بمستوياتها المختلفة ، ومن ثَمَّ فهناك مستوً واحد تُعَالَجُ من خلاله المعلومات وهو مستوى البنية التَّصورَّية الَّذي لا يمكن في إطاره التَّمييز بين اللُّغويِّ ، وغير اللُّغويِّ[1]، فهي بنية تنتظم كلَّ الأنساق المعرفيَّة والإدراكيَّة الَّتي ينتجها الذِّهن البشريُّ وفق خبراته وتجاربه الحياتيَّة ؛ ولذلك تُعَدُّ البنية التَّصوريَّة جزءًا من الفكر ، وليست جزءًا من اللُّغة ، إذ إنَّ كلَّ العمليات الذِّهنيَّة إنَّما تتشكَّل على هذه مستوى البنية .

---

(١) انظر : آليات التصنيف اللُّغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي – لطيفة إبراهيم النجار : ٥ [مجلة كلية الآداب جامعة الملك سعود – مجلد ١٧ – عدد ١ – ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م]

وكما يقول (**جاكندوف**) :"يوجد مستوى واحد من التَّمثيل الذِّهنيّ ، هو البنية التَّصوُّريَّةُ ، وفيها تكون المعلومات اللُّغويَّة والحسِّيَّةُ والحركيَّة مُتساوِقةً "[١]، واللُّغة والتَّصوُّر موجودان في الذِّهن دون ارتباط مباشر بين التَّصوُّرات والعالم الخارجيّ ، ومن خلال تناوله لمفاهيم كالدِّماغ والذِّهن والدَّلالَة ، يربط جاكندوف بين البنية الدَّلاليَّة والبنية التَّصوريَّة ، إذ يرى أنَّ المعنى هو تشفير ذهنيٌّ للمعلومات المدخلة إلى الدِّماغ أو البنية العصبيَّة أو ما يعرف بالجهاز العصبي .

إنَّ الطريقة التي نرى بها العالم حولنا هي من إنتاج" تصوراتنا المرتبطة بصورة مباشرة بكيفيَّة الإدراك لدينا ، وواضح أنَّ هذه الطريقة لا تعكس ما هو موجود فعلًا في العالم الخارجيّ" [٢]، ومن الأمثلة الَّتي أوردها (جاكندوف) حول كيفية تفسيرنا وتصوُّرنا للعالم الخارجيّ ، ما يتعلَّق بتفسيرنا للصُّور الْمُلبسة

(١) علم الدلالة والعرفانيَّة – راي جاكندوف : ٦٨ [نقله عن الإنغليزيَّة وقدَّم له عبد الرزاق بنور – منشورات دار سيناترا – المركز القومي للترجمة – تونس ٢٠١٠ – سلسلة مقالات اللغويين]

(٢) مدخل إلى الدلالة الحديثة – عبد المجيد جحفة : ٩٧ [دار توبقال للنشر – الدار البيضاء – الطبعة الأولى – ٢٠٠٠ م]

فالإشكاليَّة في مثل هذه الصُّور لا ترتبط بحقيقة أنَّ هذه الصُّورة الأولى تصوِّر وجهين متقابلين أم مزهريَّة ، وأنَّ الصُّورة الثَّانية تمثِّل وجه فتاة شابَّة ، أو وجه عجوز بقدر ما يتعلَّق الأمر بالكيفيَّة الَّتي تتكون داخل أنساقنا المعرفيَّة الإدراكيَّة الَّتي تنطلق منها أحكامنا بصدد هذه الصُّور وغيرها(١).

والتَّصَوُّرات منها ما نفهمه بشكل مباشر بدون استعارة ، وهي التي أسماها (جورج لايكوف) ، و (مارك جُونسن) : (التَّصوُّرات الفضائيَّة البسيطة) وتشمل الاتِّجاهات نحو : فوق ، تحت ، أمام ، وراء ، داخل ، خارج ، قريب ، بعيد ... إلخ(٢)، وهي الاتِّجاهات" الَّتي نستخدمها في اشتغالنا الجسديّ اليوميّ المستمر"(٣) من خلال تفاعلنا الدائم مع محيطنا الفيزيائيّ ، وهي تصوُّرات تتسم بالمركزيَّة والدِّقة ، تنبثق عنها تصوُّرات أخرى غير مباشرة تتَّسم بأنَّها أقلُّ دقَّة ووضوحًا كتجاربنا العاطفيَّة ، والتَّعالقات بينَ التَّصوُّرات المباشرة وغير المباشرة تدفعنا إلى استعمال الاستعارات من أجل فهم هذه التَّصورات .

والاستعارة في هذا الإطار ترتكز على عمليات ذهنيَّة إدراكيَّة ، وهي في ذلك تُباين المفهوم القديم عن الاستعارة الَّذي كان يُعدِّها مختصة بالنَّشاط اللُّغويّ وحده بعيدًا عن النَّشاطات الذِّهنيَّة والعقليَّة ، بيد أنَّها أضحت في ضوء اللِّسانيَّات الإدراكيَّة إحدى الآليَّات المركزيَّة للذِّهن البشريّ ، بوصفها بنية ذهنيَّة عميقة ، في إطار ما يعرف بتغيُّر المعنى .

---

(١) انظر : المرجع السابق نفسه .

(٢) انظر : الاستعارات التي نحيا بها – جورج لايكوف ومارك جونسن : ٧٨– ٧٩ [ترجمة عبد المجيد جحفة – دار توبقال للنشر – الطبعة الثانية – ٢٠٠٩ م]

(٣) المرجع السابق : ٧٨

الخَاتِمَةُ وَالنَّتَائِجُ

بعد هذا التَّطواف بين جنبات المدارس اللغوية واتجاهاتها ونظرياتها المختلفة الَّتي غيَّرت كثيرًا من الممارسات والتصَوُّراتِ اللَّغوية الَّتي سادت في التَّحليل النَّحويّ التَّقليديّ بفضل استفادتها من العلوم المختلفة ، وأحدثت تحوُّلات متتابعةً أسهمت في إنتاج تّصَوُّر متكامل لنظام لغويٍّ ينتظم المكوِّناتِ والعناصرَ اللُّغويَّةَ وَفق مستويات واضحة في المنظور اللِّسانيّ الحديث ، من خلال اعتماد آليَّات منهجيَّة واضحة في دراسة اللُّغة والبحث في طرائق اشتغالها وتفاعلها وهو ما أسهم في إثراء الدَّرس اللُّغوي وتطويره ، وعلى الرغم من أنَّ العديد من هذه المحاولات قد اهتمَّت بالمستوى التَّركيبيّ بحثًا عن الوسائل النَّاجعة لاستكشاف طبيعة هذا المستوى وآليات اشتغاله ، وفي المقابل أغفلت المستوى الدَّلَالِيَّ في بعض مراحلها ، فإنَّها قد خضعت لتطورات مفيدة أحدثت ترميمًا ذاتيًّا للفجوات المنهجيَّة في تلك النَّظريات من أجل الوصول إلى نظريَّة لسانيَّة أكثر شمولًا ونضجًا واكتمالًا ، وخاصة تلك التَّصوُّرات الَّتي حكمت التَّجاذبات الموقعيَّة للتَّركيب والدَّلَالة في إطار النِّظام اللُّغويّ الَّذي احتلَّ فيه التَّركيب البؤرة المركزيَّة الرَّئيسة في الدِّراسات البنيويَّة ، واستمرت هذه المركزيَّة وتوطَّدت دعائمها على يد تشومسكي في اللِّسانيَّات التَّوليديَّة التَّحويليَّة ، إلى أن أزاحته الدَّلالةُ الَّتي احتلَّت البؤرة المركزيَّة في اللِّسَانِيَّاتِ الإدراكيَّة المعاصرة ، وهو ما يكشف عنه النَّظر في النَّتائج المستخلصة من تتبعنا لمحوري التَّركيب والدَّلَالة ، والاختلافات المنهجيَّة والإجرائيَّة الَّتي أحاطت بمعالجاتهما في إطار المدارس اللُّغويَّة بداية من اللِّسانيَّات البنيويَّة ووصولًا إلى النُّموذج الأحدث في اللِّسانيَّات الإدراكيَّة :

(١) أظهرت الدِّراسة أنَّ اللِّسانيات البنيويَّة قد أسَّست لمرحلة منهجيَّة علميَّة تُدرَسُ من خلالها اللُّغة لذاتها ولأجل ذاتها ، وطرحت من خلالها تصورًا للنِّظام اللُّغويّ ومستوياته الأساسيَّة ، ركَّزت فيه على التَّركيب ودوره في التَّأليف بين الوحدات اللُّغويَّة وترتيبها والعلاقات النَّاشئة بينها ، والقواعد

الَّتي تحكم تلك العمليَّات ، بَيْدَ أنَّ ارتكازها على الطَّابع الوَصفيِّ الشَّكليِّ، في ظلِّ قناعات تؤمن بأنَّ الدَّلالَة لا يمكن إخضاعها للدَّرس الوصفيِّ المنهجيِّ الدَّقيق بالصُّورة الَّتي يُمكن أنْ تخضع لها المستويات اللُّغويَّة الأخرى ، أدَّى إلى استبعاد الدَّلالة استبعادًا تامًّا من الأنظمة البنيويَّة للتَّحليل اللُّغويِّ على اختلاف مشاربها واتجاهاتها الَّتي انسجمت جميعُها مع هذا الإطار البنيويِّ العام .

(٢) على الرُّغم من التَّركيز البنيويِّ العام على الطَّابع الشَّكليِّ الَّذي يهتمُّ بالتَّركيب ، فقد كشفتِ الدِّراسة أنَّ البنيويَّة على يد (دو سوسير) قد قدَّمت تفسيرًا للدَّلالة اللُّغويَّة في إطار ما يعرف بالعلامة اللُّغويَّة النَّاشئة من اتِّحاد (الدَّالِّ) أو الصُّورة السَّمعيَّة مع (المدلول) وهو المفهوم أو التَّصوُّر الَّذي يُدركه مُستعمِل لسان معيَّن من معانٍ تتعلق بهذه الصُّورة السَّمعيَّة ، فهما وجهان لعملة واحدة فالصُّورة السَّمعيَّة تستدعي التَّصوُّر أو المفهوم ، والعكس صحيح في هذا الإطار ، والاتِّحاد الحاصل بين الدَّالِّ والمدلول يأتي في إطار علاقة لا يمكن تعليلها بالعقل أو المنطق ، في ظلِّ غياب أيَّة محاكاة بين الصُّورة الصَّوتيَّة والمدلول عليه في الواقع الخارجيِّ ومن ثَمَّ فإنَّ العلاقة بينهما هي علاقة اعتباطيَّة مُستدلًّا على ذلك بالبون الشَّاسع بين الألسن في إطلاقها الأسماء على الشَّيء الواحد، وعلى الرُّغم من هذا ظلت البنيويَّة تتوخَّى جانب الحذر في تعاطيها مع المستوى الدَّلاليِّ الَّذي تراه غير خاضع لمنهجيتها التَّجريبيَّة ، ومن ثَمَّ يتعذَّر وصفه وضبط أحكامه .

(٣) أظهرتِ الدِّراسة أنَّ النَّظريَّة التَّوليديَّة التَّحويليَّة في نموذجها التَّحليليِّ التَّصوُّريِّ الأوَّليِّ (النَّواة) قد استندت إلى مركزيَّة التَّركيب واستقلاله عن المستويات اللغويَّة الأخرى ، مع إغفال تامٍّ للدَّلالة في ظلِّ إيمان عميق بأنَّ المستوى التَّركيبيَّ وما ينبثق عنه من قواعدَ قادرٌ وحدَه على دعم الوصف الدَّلاليِّ .

(٤) أبرزت الدِّراسة محاولاتِ تشومسكي في نموذجه (المعيار) – بفضل جهود كاتز ، و فودور ، و بوستال – استدراكَ القصور الحادث في نموذجه (النواة) بإغفاله الجانب الدَّلاليّ ، وذلك من خلال دمج التَّحليل الدَّلاليّ في هيكل النَّظريَّة التَّوليديَّة التَّحويليَّة ، إذ أضحت الدَّلالة عنصرًا في مكوِّنات التَّحليل النَّحويّ ، مع الاحتفاظ بمبدأ توليديَّة التَّركيب واستقلاليته ، في مقابل القول بتأويليَّة الدَّلالة وارتباطها بالبنية العميقة .

(٥) نوَّهتِ الدِّراسة إلى أنَّ الخلافات بين أتباع المذهب التَّوليديّ التَّحويليّ حول طروحات تشومسكي بشأن توليديَّة التَّركيب وتأويليَّة الدَّلالة ، والقول بارتباط الدَّلالة بالبنية العميقة فقط ، قد أدَّت إلى ظهور ما يعرف باتجاه الدَّلالة التَّوليديةَّ على يد منتقدي تشومسكي من أمثال (شارل فيلمور) ، (جورج لاكوف) ، حيث سعى هؤلاء إلى إزالة هذا الفصل المصطنع بين التَّركيب والدَّلالة من خلال طرح جديد يرى أنَّه لا وجود لما يسمَّى بالبنية العميقة ، أو يرفضها في أقلِّ تقدير بالصُّورة الَّتي طرحها تشومسكي في نموذجه المعيار، إذ يذهب أصحاب هذا التَّيَّار إلى أنَّ البنيات المولَّدة من الْمُكوِّن الأساس ، هي في الأصل تمثيلات دَلاليَّة ، ومن ثمَّ فإنَّ البنية العميقة هي التَّمثيل الدَّلَالُّي للجملة وليست التَّمثيل النَّحويَّ التَّركيبيَّ لها كما ذهب تشومسكي .

(٦) أَبرزَتِ الدِّراسةُ التَّغييرات النَّوعيَّةَ الجوهريَّة الَّتي أحدثتها اللِّسَانِيَّاتُ الإدراكيَّةُ في مسار الدَّرس اللِّسَانيّ مع نهايات القرن العشرين ، من خلال التَّحَوُّل الَّذي طرأ على الْمُكوِّنِ الدَّلَاليّ وتوضُّعِهِ في بُؤرة الاهتمام في هذه اللِّسَانيَّات دون إقصاء للمُكِّون النَّحويّ .

ثَبَتُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

المصادر والمراجع بعد كتاب الله الكريم :

(١) آليات التصنيف اللُّغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي – لطيفة إبراهيم النجار – مجلة كلية الآداب جامعة الملك سعود – مجلد ١٧ – عدد ١ – ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

(٢) اتجاهات البحث اللساني – ميلكا إفيتش – ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح ، ووفاء كامل فايد – القاهرة – منشورات المجلس الأعلى للثقافة – المشروع القومي للترجمة – الطبعة الثانية – ٢٠٠٠م .

(٣) الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية – أحمد عبد العزيز دراج – الرياض – مكتبة الرشد ناشرون – الطبعة الأولى – ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٣م .

(٤) الاستعارات التي نحيا بها – جورج لايكوف ومارك جونسن – ترجمة عبد المجيد جحفة – الدار البيضاء – دار توبقال للنشر – الطبعة الثانية – ٢٠٠٩ م .

(٥) أسس علم اللغة – ماريو باي – ترجمة أحمد مختار عمر – القاهرة – عالم الكتب – الطبعة الثامنة – ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

(٦) الاسم والاسمية والإسماء في اللغة العربية – مقاربة نحوية عرفانية – توفيق قريرة – تونس – مكتبة قرطاج للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى – ٢٠١١م .

(٧) أضواء على الدراسات اللغويَّة المعاصرة – نايف خرما – الكويت – عالم المعرفة – سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – يناير ١٩٧٨م .

(٨) الألسنية التوليدية والتحويلية ، وقواعد اللغة العربية – ميشال زكريا – لبنان – بيروت – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – الطبعة الثانية – ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

(٩)الإيضاح العضدي – أبو علي الفارسي – حققه وقَّدم له حسن شاذلي فرهود – كلية الآداب جامعة الرياض الطبعة الأولى – ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

(١٠) البنى النحوية – نوم جومسكي– ترجمة يوئيل يوسف عزيز – مراجعة مجيد الماشطة – العراق – بغداد – وزارة الثقافة والإعلام – دار الشؤون الثقافية العامة – الطبعة الأولى – ١٩٨٧ م .

(١١) البنية العميقة في الدرس اللساني العربي ، المقولة والإجراء – آلاء علي عبد الله العنبكي – العراق – دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الأولى . ٢٠١٤ م .

(١٢) بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب – أبو الثناء شمس الدين محمود بن عبد الرحمن بن أحمد الأصفهاني – تحقيق محمد مظهر بقا – جدة – دار المدني للطباعة والنشر – الطبعة الأولى – ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

(١٣) تاج العروس من جواهر القاموس – السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي – تحقيق علي هلالي – الكويت– وزارة الإعلام – سلسلة التراث العربي – الطبعة الثانية – ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

(١٤) التعريفات – أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني – تحقيق الدكتور عبد المنعم الحفني – القاهرة – دار الرشاد للنشر والتوزيع – ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

(١٥) الخصائص – أبو الفتح عثمان بن جني – تحقيق محمد علي النجار – القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الرابعة – د.ت .

(١٦) دلالة اللغة وتصميمها – كتاب يضمُّ نصوصًا مترجمة لجاكندوف ، وتشومسكي ، وفندلر ، قام بترجمتها : محمد غاليم ، ومحمد الرحالي ، وعبد المجيد جحفة تحت عنوان : دلالة اللغة وتصميمها – المغرب – الدار البيضاء – دار توبقال – الطبعة الأولى – ٢٠٠٧م .

(١٧) السيميائية وفلسفة اللغة – أمبرتو إيكو – ترجمة أحمد الصمعي – المنظمة العربية للترجمة – لبنان – بيروت – الطبعة الأولى – ٢٠٠٥م.

(١٨) شرح العلَّامة الشيخ حسن الكفراوي على متن الآجرومية – يطلب من مكاتب سليمان مرعي – سنقافورا – فيناغ – كوت بهارو – د.ط – د.ت .

(١٩) الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية – أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري – راجعه واعتنى به محمد محمد تامر ، و أنس محمد الشامي ، و زكريا جابر أحمد – القاهرة – دار الحديث – ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

(٢٠) العربية وعلم اللغة البنيوي – حلمي خليل – الإسكندرية – دار المعرفة الجامعية – الطبعة الأولى – ١٩٩٦م .

(٢١) العلامة ، تحليل المفهوم وتاريخه – أمبرتو إيكو – ترجمة سعيد بنكراد – المغرب – الدار البيضاء – المركز الثقافي العربي – الطبعة الثانية – ٢٠١٠م .

(٢٢) علم الدلالة – أحمد مختار عمر– القاهرة – عالم الكتب – الطبعة الثانية – ١٩٨٨ م .

(٢٣) علم الدلالة والعرفانيَّة – راي جاكندوف – نقله عن الإنغليزيَّة وقدَّم له عبد الرزاق بنور – تونس – منشورات دار سيناترا – المركز القومي للترجمة – سلسلة مقالات اللغويين – ٢٠١٠.

(٢٤) علم اللغة العام – فردينان دو سوسير – ترجمة يوئيل يوسف عزيز – مراجعة النص العربي – د. مالك يوسف المطلبي – بغداد – دار آفاق عربية – ١٩٨٥م .

(٢٥) العين – الخليل بن أحمد الفراهيدي – تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي– من منشورات وزارة الثقافة والإعلام بالعراق – دار الرشيد للنشر – ١٩٨٠– ١٩٨٥م .

(٢٦) الكتاب – سيبويه – تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون – القاهرة – مكتبة الخانجي – الطبعة الثالثة – ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

(٢٧) لسان العرب – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي الأنصاري المصري – بيروت – دار صادر– الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ .

(٢٨) اللسانيات ، النشأة والتطور – أحمد مؤمن– الجزائر – جامعة قسنطينة – ديوان المطبوعات الجامعية – معهد اللغات الأجنبية – الطبعة الثانية – ٢٠٠٥م .

(٢٩) اللسانيات البنيوية ، منهجيات ، واتجاهات – مصطفى غلفان – لبنان – بيروت – دار الكتاب الجديد المتحدة – الطبعة الأولى – يونيو ٢٠١٣م .

(٣٠) اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي ، مفاهيم وأمثلة – مصطفى غلفان بمشاركة د.امحمد الملاخ ، و د. حافظ إسماعيلي علوي – الأردن – إربد – عالم الكتب الحديث – الطبعة الأولى – ٢٠١٠م.

(٣١) اللغة واللسان والعلامة عند دو سوسير في ضوء المصادر الأصول – مصطفى غلفان – لبنان – دار الكتاب الجديد – الطبعة الأولى – ٢٠١٧م .

(٣٢) مبادئ اللسانيات – أحمد محمد قدور – دمشق – دار الفكر – الطبعة الثالثة – ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م .

(٣٣) محاضرات في علم الدلالة – خليفة بوجادي – الجزائر – بيت الحكمة – الطبعة الأولى – ٢٠٠٩م .

(٣٤) المدارس اللسانية : التطور والصراع – جيفري سامبسون – ترجمة أحمد نعيم الكراعين – بيروت – المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع – ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

(٣٥) المدارس اللسانيَّة المعاصرة – نعمان بوقرة – القاهرة – مكتبة الآداب – الطبعة الأولى – ٢٠٠٤ م .

(٣٦) مدخل إلى الدلالة الحديثة – عبد المجيد جحفة – المغرب – الدار البيضاء – دار توبقال للنشر – الطبعة الأولى – ٢٠٠٠ م .

(٣٧) مدخل إلى النحو العرفاني ، نظرية رونالد لانقاكر *Ronald Langacker* – عبد الجبار بن غربية – كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة – تونس – زغوان – مسكيلياني للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى – ٢٠١٠ م .

(٣٨) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو – مهدي المخزومي – القاهرة – مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – الطبعة الثانية – ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م .

(٣٩) مظاهر اللاتناسق في النظريَّة التوليدية – سمية المكي – تونس – سوسة – مجلة موارد – كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الوسط– العدد ١٤ / ٢٠٠٩ م .

(٤٠) معجم مقاييس اللغة – أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا – تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون – القاهرة – دار الفكر – ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

(٤١) المعرفة ، الإدراك ، العرفنة ، بحث في المصطلح – الدكتور عمر بن دحمان – الجزائر – تيزي وزو – مجلة الخطاب – من منشورات مخبر تحليل الخطاب – جامعة مولود معمري – المجلد ٨– العدد ١٤ – مارس ٢٠١٣ م .

(٤٢) المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي – عبد القادر الفاسي الفهري – المغرب – الدار البيضاء – دار توبقال للنشر – الطبعة الأولى – ١٩٩٨م .

(٤٣) مقدمة في نظرية القواعد التوليدية – مرتضى جواد باقر – الأردن – عمان – دار الشروق للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى – ٢٠٠٢م.

(٤٤) المقولات الوظيفية في الجملة العربية ، دراسة صرفيَّة تركيبيَّة – الحسن السعيدي – المغرب – سايس – فاس – منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة سيدي محمد بن عبد الله – سلسلة رسائل وأطروحات رقم ١٠ – الطبعة الأولى – ٢٠٠٥ م .

(٤٥) مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي – بريجيته بارتشت – ترجمة سعيد بحيري – القاهرة – مؤسسة المختار – الطبعة الأولى ٢٠٠٤م .

(٤٦) النظام والعرفان في اللُّغة – فدوى العذاري – الجزائر – غليزان – مجلة الميادين للدراسات في العلوم الإنسانيَّة – المجلد الأول – العدد الثاني – مايو ٢٠١٩م .

(٤٧) نظريات لسانيَّة عرفنيَّة – الأزهر الزناد – لبنان – بيروت – الدار العربية للعلوم ناشرون ، بالاشتراك مع دار محمد علي للنشر ، ومنشورات الاختلاف – الطبعة الأولى – ٢٠١٠م .

(٤٨) نظرية التبعية في التحليل النحوي – سعيد بحيري – القاهرة – مكتبة الأنجلو المصرية – ١٩٨٨ م .

(٤٩) نظرية تشومسكي اللغوية – جون ليونز – ترجمة حلمي خليل – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – الطبعة الأولى – ١٩٨٥م.